(«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»، وشبك بين أصابعه)[١].

وقال ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم: لا يظلمهُ ولا يخذلهُ ولا يحقره. التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»[٢].

اللّهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: خ: (٤٦٧)، م: (٢٥٨٥).

(٢) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).



الوصية السابعة عشرة (ب)
«أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن الوصية السابعة عشرة، عن ابن عمر رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ؟ فقال: يا رسول الله؛ أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه ديْناً، أو يطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخٍ في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد (يعني مسجد المدينة) شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، من كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام، وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل»**[1].

وصية عظيمة عشنا في الجمعة الماضية مع القسم الأول منها وتبيّن لنا أن أحب الناس إلى الله ـ تعالى ـ: «**أنفعهم للناس**»، وتبيّن لنا أيضاً أن أحب الأعمال إلى الله ـ تعالى ـ: «**سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة** ـ أي: من كرب الدنيا ـ **أو يقضي عنه ديناً، أو يطرد عنه جوعاً**».

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن باقي هذه الوصية العظيمة.

---

(١) **حسن**: طب: (١٢/ ٤٥٣)، طس: (٦/ ١٣٩)، طص: (٢/ ١٠٦)، [«س.ص» (٩٠٦)].

يقول ﷺ: «**ولأن أمشي مع أخٍ في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف شهراً (يعني في مسجد المدينة)**».

يبيّن ﷺ أن من مشى في حاجة أخيه وقضاها له، فهذا من أحب الأعمال إلى الله تعالى وهو خير من أن يعتكف شهراً كاملاً في مسجد رسول الله، فيتبيّن لنا يا عباد الله أن الذي يمشي في قضاء حوائج المسلمين يبتغي بذلك رضا الله والجنة أن ذلك خير له من أن يعتكف شهراً كاملاً في مسجد رسول الله ﷺ.

عباد الله! ورسولنا ﷺ يربي أمته على أن يمشي كلُ منهم في قضاء حوائج الآخرين لأن ذلك يورث المحبة.

ولذلك قال ﷺ: «**من نَفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**»(١).

وقال ﷺ: «**واللهُ في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»(٢).

ويقول ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته..**»(٣).

فيبيّن لنا الرسول ﷺ أن من كان دائماً عوناً للآخرين، ومن كان يسعى في قضاء حوائج الآخرين كان الله دائماً عوناً له، وكان الله دائماً في حاجته، ولذلك فالعاقل واللهِ إذا أراد حاجة لنفسه فعليه أن يستعين على قضائها بقضاء حوائج الآخرين، لأن من قضى حوائج الآخرين قضى الله حاجته. ورسولنا ﷺ يضرب مثلاً أعلى في ذلك، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (كانت الأَمَة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت)(٤)؛ أي: حتى يقضي لها حاجتها، وكان ﷺ إذا جاءه صاحب حاجة نظر إلى جلسائه فقال لهم: «**اشفعوا تؤجروا...**»(٥) أي

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٩٩).
(٢) **صحيح**: م: (٢٦٩٩).
(٣) **صحيح**: خ: (٢٣١٠)، م: (٢٥٨٠).
(٤) **صحيح**: خ: (٥٧٢٤).
(٥) **صحيح**: خ: (١٣٦٥).

يأمرهم أن يشفعوا وأن يتنافسوا في قضاء حاجة هذا المحتاج.

• والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتنافسون في خدمة الآخرين، وفي قضاء حوائج الآخرين، يتقربون بذلك إلى رضا الله والجنة.

• وفي الصحيحين عن أنس ﵁ قال: كنا مع النبي ﷺ في السفر فمنا الصائم ومنا المفطر قال: فنزلنا منزلاً في يوم حار، أكثرنا ظلاً صاحب الكساء، ومنا من يتقي الشمس بيده، قال: فسقط الصوَّام، وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال رسول الله ﷺ: «**ذهب المفطرون اليوم بالأجر**»(١)، أتدرون لم؟ لأنهم قاموا على خدمة الآخرين.

عباد الله! ثم يبيّن لنا ﷺ في وصيته التي معنا أن «**من مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى تتهيأ له** ـ أي: حتى يقضيها له ـ **أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام**».

أتدرون يا عباد الله متى تزول الأقدام يوم القيامة؟ على الصراط، وما أدراك ما الصراط؟ إنه: جسر دقيق منصوب على متن جهنم، أحدُّ من السيف، وأدق من الشعر، الناس يمرون عليه على قدر أعمالهم.

• الصراط يا عباد الله مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب تتخطف الناس لا تثبت عليه إلا أقدام الذين يثبتهم الله، ومنهم الذين يمشون في قضاء حوائج المسلمين.

• الصراط ممر خطير ويشهد لخطورته: تقول عائشة ﵂ يوماً: يا رسول الله أيعرف الرجل أهله يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «**أمَّا في ثلاثة مواطن فلا، عند الميزان وعند الكتاب، وعند الصراط**»(٢)، فعلى الصراط لا يعرف الزوج زوجته، وعند الميزان لا يعرف الأخ أخته، وعند تطاير الصحف لا يعرف الأبُ ابنه، لا يعرف أحدٌ أحداً في ثلاثة

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٧٣٣)، م: (١١١٩).

(٢) **ضعيف**: د: (٤٧٥٥)، ك: (٤/ ٦٢٢)، ش: (٧/ ٨٨)، حم: (٦/ ١١٠)، [«ض.ج» (١٢٤٥)].

مواضع، عند تطاير الصحف حتى يعلم أأخذ بيمينه أم أخذ بشماله، وعند الميزان حتى يعلم أثقلت موازينه أم خفت موازينه، وعلى الصراط حتى يعلم أناجٍ أم واقع على أم رأسه في نار جهنَّم، وحين يمر الناس على الصراط فإن رسولنا ﷺ يقف عند الصراط على جانبيه ويقول: «**اللّهم سلِّم سلِّم**»(١).

عباد الله! هذا الذي يقوم في خدمة الآخرين يبتغي بذلك وجه الله، أما الذي يقوم بقضاء حوائج المحتاجين لا يريد بذلك وجه الله إنما يريد رشوة تدفع له وكثير ما هم وإنا لله وإنا إليه راجعون فهو آثمٌ. وإذا نظرنا إلى كثير من الموظفين اليوم ـ إلا من رحم ربي ـ نراهم يقومون على خدمة الآخرين، ويقضون حوائج الآخرين ولكن ليس لوجه الله إنما مقابل رشوة!

• فهذا رجل يقوم على خدمة الناس فإذا ذهبت إليه لخدمة قام معك يقضيها لك ولكن ماذا يريد؟ وماذا يبتغي؟ يبتغي منك أن تعطيه صوتك يوم الانتخابات ولا يريد بذلك وجه الله!

• وهذا آخر يقوم على قضاء حوائج الآخرين، ولكن مقابل أن تدفع له مبلغاً من المال رشوة حتى أن هناك من الموظفين مَنْ أصبح لا يستحيي من الناس ولا من الله فيطلب منك المبلغ صراحة وقد يتفاوض معك!

• وآخر يقوم في خدمة الآخرين ولكنه يطلب منك هدية لقاءَ قيامِه لك بهذه الخدمة، والهدية تختلف من موظف إلى آخر باختلاف وضعه الاجتماعي.

• فهذا موظف كبير لا يرضى إلا بعشرات الدُنُمات هدية! ويسمونها هديةً ولا يستحون من الله.

• وهذا لا يقبل هدية إلا سيارة فاخرة، وهذا لا يقبل هدية إلا بيتاً يتكون من طابق أو اثنين، كلٌ يطلب حسب ما يريد، وإنا لله وإنا إليه

---

(١) **صحيح**: خ: (٧٧٣)، م: (١٨٢).

راجعون، نقول لهؤلاء: إن هذه رشوة، والرشوة حرام، حرّمها الإسلام فهي حرام إلى يوم القيامة.

يقول ﷺ: «**لعنة الله على الراشي والمرتشي**»[1].

الراشي: هو الذي يدفع الرِشوة.

المرتشي: وهو الآخذ للرشوة.

كثير من الناس يقول لا تمشي حاجتي إلا إذا دفعتُ مالاً، نقول له: أنت راشٍ وأنت ملعون، ونقول له: العلاج ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢].

الأمر الدنيوي الذي يجعلك تضطر إلى دفع الرشوة أتركه يا عبد الله، واصبر على جوع الدنيا، وعذاب الدنيا خير لك من عذاب الآخرة.

ولكن ما أظن إلا أننا وقعنا في هذا البلاء وعلى جميع المستويات إلا من رحم ربي. واعلموا عباد الله أن المال الذي يجمع من الرشوة مال حرام خبيث.

فاعلم أيها المرتشي أن المال الذي جمعته من الرشوة، والسيارة التي ركبتها من الرشوة، والبيت الذي بنيته من الرشوة، اعلم أن هذا مالٌ حرامٌ إن أنفقته على أولادك وعلى نفسك لم يُبَارك لك فيه، وإذا تصدقت به لم يقبل منك؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإذا تركت هذا المال خلفك ورحلت من الدنيا إلى الآخرة فهو زادك إلى نار جهنم.

واعلموا عباد الله! أن العبد سيقف أمام الله يوم القيامة يُسأل عن كل شيء سؤالاً واحداً إلا المال يسأل عنه سؤالين، السؤال الأول من أين اكتسبت هذا المال؟ السؤال الثاني أين أنفقت هذا المال؟

- فيا أيها الراشي ستقف بين يدي الله يوم القيامة عريانَ كيوم

---

(١) **صحيح**: د: (٣٥٨٠)، ت: (١٣٣٧)، هـ: (٢٣١٣)، حم: (٢/ ٢١٢)، حب: (٥٠٧٧)، [«ص.ج» (٥١١٤)].

ولدتك أمك يُوجه لك هذا السؤال، أين أنفقت هذا المبلغ من المال؟ فتقول لله ﷻ: أعطيته رشوة!

- ويا أيها المرتشي إذا سُئلت أمام الله من أين اكتسبت هذا المال؟ تقول أخذته رشوة!

واعلموا عباد الله! أن تغيير الأسماء لا يجعل الحرام حلالاً، فلو غيروا اسم الخمر، إلى أي اسم فهي حرام، وإن سمَّوا الرِشوة بغير اسمها فهي حرام، فهم يسمُّونها هدية، وإكرامية، ويسمونها بغير اسمها وهي حرام لأنها دفعت لك وأنت تعمل في هذه الوظيفة.

وبالمثال يتضح البيان:

استعمل رسول الله ﷺ رجلاً على صدقات بني سُليم، يدعى ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه قال: هذا مالكم وهذا هدية. فقال رسول الله ﷺ: «**فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً**» ثم خطبنا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد فإني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولّاني الله فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه، إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر**»[(١)].

يا أيها الموظف، ألا جلست في بيت أبيك وأمك حتى يهدى إليك، وهذه هي العلة لِمَ قُدِّمَتْ لك هذه الهدية؟ لأنك تعمل في هذا العمل، والراشي والمرتشي يعلمون أنها رشوة ولكنهم يخدعون أنفسهم ويوم القيامة يندمون في وقت لا ينفع فيه الندم.

يقول ﷺ: «**والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة**»[(٢)].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٧٨)، م: (١٨٣٢).

(٢) **صحيح**: المصدر السابق.

• فيا من أخذ عشرات من الدنمات رشوة، أتستطيع أن تحملها على ظهرك أمام الخلائق يوم القيامة يوم الفضيحة الكبرى؟!.

• يا آخذ السيارة رشوة أتستطيع أن تحملها على ظهرك يوم القيامة؟!.

عباد الله! أقول لكم كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

واعلموا عباد الله! أن هذه نِعمٌ: الوظيفة نعمة، الجاه نعمة، المنصب نعمة، فإن حافظت عليها بخدمة الآخرين ابتغاء مرضاة الله دامت لك وإن تقاضيت الرشوة زالت عنك وانتقلت إلى غيرك.

ثم يقول ﷺ: «**ومن كفَّ غضبه ستره الله عورته يوم القيامة..**».

عباد الله! الغضب جريمة فإنا إذا غضب أحدنا أوقع نفسه فيما لا يحمد عقباه، وكلنا يغضب وما منا إلا قد غضب وأساء. فهناك من يغضب فيطلق زوجته، وهناك من يغضب فيسب الدين والرب، وهناك من يغضب فيظلم الآخرين، ولذلك جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله، أوصني، قال ﷺ: «**لا تغضب**»، فردد مراراً قال: «**لا تغضب**»[1].

كلنا يغضب ولكن ما هو العلاج الشرعي للغضب؟ كثير من الناس إذا غضب أشعل (سيجارته) وكأنه يعتقد أن إشعال السيجارة يذهب الغضب، لا يا عبادَ الله، أين نحن من دين الإسلام؟! فالإسلام ما ترك شيئاً يقربنا من الجنة إلا وبيّنه لنا.

• فإذا غضب أحدنا ماذا عليه أن يفعل؟.

أولاً: أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

إذا غضب أحدنا عليه أن يقول: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»؛

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٦٥).

أي: أَلتجئ إلى الله من الشيطان الرجيم، الدليل قوله ﷺ: «**إذا غضب الرجل فقال: أعوذ بالله، سكن غضبه**»(١). واستب رجلان عند رسول الله ﷺ فغضب أحدهما حتى احمر وجهه، وانتفخت أوداجه فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد**»(٢).

ثانياً: السكوت وعدم التكلم، إذا غضبت لا تتكلم لأنك إذا تكلمت ستندم يقول ﷺ: «**إذا غضب أحدكم فليسكت**»(٣).

ثالثاً: أن تغير من حالك الذي أنت عليه، فإذا غضبت واقفاً فاجلس، فإن ذهب الغضب وإلا فاضطجع يقول ﷺ: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليقعد، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**»(٤).

والذي يدفع عنك الغضب يا عبد الله أن تعرف ما أعده الله ـ عز وجل ـ لمن كفّ غضبه، يقول ﷺ: «**ومن كفّ غضبه ستر الله عورته**»، ويقول ﷺ: «**من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة**»، ويقول ﷺ: «**من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه على رؤوس الخلائق ـ يوم القيامة ـ حتى يخيّره من الحور العين ما شاء**»(٥).

عباد الله! بعد أن بيّن الرسول ﷺ أحب الأعمال إلى الله للسائل، بيّن له وأرشده وأرشدنا جميعاً إلى الأمور التي تفسد هذا العمل، فالأعمال الصالحة لها ثواب عند الله وهناك من الأعمال السيئة ما يفسد ثواب هذه الأعمال.

---

(١) **صحيح**: طس: (٧/ ١١٧)، [«س.ص» (١٣٧٦)].

(٢) **صحيح**: خ: (٣١٠٨)، م: (٢٦١٠).

(٣) **صحيح**: حم: (١/ ٢٣٩)، خد: (٢٤٥)، لس: (٢٦٠٨)، [«س.ص» (١٣٧٥)].

(٤) **صحيح**: د: (٤٧٨٢)، حم: (٥/ ١٥٢)، حب: (٥٦٨٨)، هب: (٦/ ٣٠٩)، [«ص.ج» (٦٩٤)].

(٥) **حسن لغيره**: د: (٤٧٧٧)، ت: (٢٤٩٣)، هـ: (٤١٨٦)، حم: (٣/ ٤٤٠)، ع: (٣/ ٦٦)، هب: (٦/ ٣١٣)، هق: (٨/ ١٦١)، [«ص.غ.هـ» (٢٧٥٣)].

● ومن هذه الأعمال السيئة سوء الخلق، يقول ﷺ مرشداً للسائل: «**وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل**»، أعمال صالحة ولكن صاحبها سيء الأخلاق فثوابها يذهب بسوء خلقه.

● ولذلك جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها، وغير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال ﷺ: «**هي في النار**»، قال الرجل: يا رسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها قال ﷺ: «**هي في الجنة**»(١)، وقال ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»(٢).

● فالعبد بسوء خلقه يضيع ثواب أعماله، ولذلك قال ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال ﷺ: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»(٣).

عباد الله! الرسول ﷺ جاء ليتمم مكارم الأخلاق، والأعمالُ الصالحةُ تطهر الإنسان من الأخلاق الرديئة، وتكسبه الاتصاف بالأخلاق الحميدة فمثلاً:

١ ـ **الصلاة:** تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

---

(١) **صحيح**: حم: (٢/ ٤٤٠)، حب: (٥٧٦٤)، ك: (٤/ ١٨٤)، [«ص.غ.هـ» (٢٥٦٠)].

(٢) **صحيح**: د: (٤٧٩٨)، حم: (٦/ ٩٠)، ك: (١/ ١٢٨)، هب: (٦/ ٢٣٦)، [«ص.غ.ه» ٢٦٤٣)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٥٨١).

٢ ـ **الزكاة**: تُطهر العبد من أمراض الشح والبخل. قال ـ تعالى ـ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

٣ ـ **الحج**: يطهر العبد من الأخلاق الرديئة. قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٧].

٤ ـ **الصيام**: يربي العبد على الصبر وتحمل الأذى.

قال ﷺ: «**... والصيام جُنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم**»(١).

عباد الله! الأعمال الصالحة تربي صاحبها على حسن الخلق، وحسن الخلق يحفظ ثواب هذه الأعمال، أما سوء الخلق فيُفسد الأعمال الصالحة وإن كانت كالجبال كما يفسد الخل العسل يقول ﷺ: «**اللّهم كما حسنت خَلْقي فحسن خُلُقي**»(٢).

يقول ﷺ: «**اللّهم أنت الملك لا إله إلا أنت،... واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»(٣)، يقول ﷺ: «**اللّهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها**»(٤).

اللهم حسن أخلاقنا

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (١٨٠٥)، م: (١١٥١).

(٢) **صحيح**: حم: (١/ ٤٠٣)، حب: (٩٥٩)، لس: (٣٧٤)، ع: (٩/ ٩)، هب: (٦/ ٣٦٤)، [«ص.ج» (١٣٠٧)].

(٣) **صحيح**: م: (٧٧١).

(٤) **صحيح**: م: (٢٧٢٢).



الوصية الثامنة عشرة: «عليكم بقيامِ الليل»

عباد الله! الإيمان بالرسل الكرام ركن من أركان العقيدة الصحيحة، وقد تكلمنا عن الرسل الكرام وعن أولي العزم منهم. وانتهى الحديث بنا ـ يا عباد الله ـ إلى رسولنا محمد ﷺ وقلنا: إن من الواجب على المسلمين نحوه ﷺ أن يقبلوا وصاياه، وأن يعملوا بها، وأن يعضوا عليها بالنواجذ، ولا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثامنة عشرة:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم**»[1].

وصية عظيمة من رسول عظيم يحث أُمّته فيها على قيام الليل.

عباد الله! وقيام الليل هو: الصلاة التي يصليها المسلم بالليل. وهذه الصلاة تجوز بعد صلاة العشاء، وتجوز في وسط الليل، وتجوز في ثلث الليل الأخير، وأفضلها ما كان في ثلث الليل الأخير؛ ذلك لأن الرسول ﷺ يقول: «**أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن**»[2].

---

(١) **حسن لغيره**: ت: (٣٥٤٩)، خز: (١١٣٥)، ك: (١/ ٤٥١)، طب: (٨/ ٩٢)، هق: (٢/ ٥٠٢)، [«ص.غ.هـ» (٦٢٤)].

(٢) **صحيح**: ت: (٣٥٧٩)، ن: (٥٧٢)، خز: (١١٤٧)، ك: (١/ ٤٥٣)، [«ص.ج» (١١٧٣)].

ويقول ﷺ: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له**»[١].

فالصلاة في جوف الليل الأخير هي الأفضل، وإن صلّى العبد قيام الليل بعد صلاة العشاء أو في أي وقت من الليل جاز له ذلك.

عباد الله! وقيام الليل سنّة مؤكدة، وهي أفضل صلاة بعد صلاة الفريضة. لقوله ﷺ: «**أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم**»[٢].

وأقل صلاة الليل ركعة، وأكثرها إحدى عشر ركعة، تقول عائشة رضي الله عنها: «**ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة**»[٣].

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن قيام الليل في هذا اليوم أمران اثنان:

الأمر الأول: أن كثيراً من المسلمين ـ وللأسف الشديد ـ فرطوا في قيام الليل حتى أمسى عندهم نسياً منسياً، وبالتالي ضيّعوا صلاة الفجر وذلك بسبب سهرهم على شاشات المفسديون، وسهرهم في مجالس القيل والقال.

الأمر الثاني: إقبال ضيف كريم علينا وهو شهر رمضان، والقيام فيه ـ وهو ما يسمى عند الناس بالتراويح ـ له أجر عظيم.

يقول ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٤]. ومع الأسف الشديد فإن الكثير من المسلمين يفرطون في قيام رمضان، ومنهم من يصليه يوماً ولا يتبعه آخر، ومنهم من يصليه أسبوعاً

---

(١) **صحيح**: خ: (١٠٩٤)، م: (٧٥٨). (٢) **صحيح**: م: (١١٦٣).
(٣) **صحيح**: خ: (٣٣٧٦)، م: (٧٣٨).
(٤) **صحيح**: خ: (٣٧)، م: (٧٥٩).

ولا يتبعه آخر، ولا يحافظ على قيامه إلا من رحم ربي، فأردت أن أذكر الجميع بفضل قيام الليل والذكرى تنفع المؤمنين.

عباد الله! الله ﷻ في كتابه يحث عباده على قيام الليل ويبيّن لهم أن قيام الليل عنوان الإيمان.

يقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٥ ـ ١٦].

ويبيّن ربنا ـ جلّ وعلا ـ في كتابه أن قيام الليل دليل الإحسان، والإحسان هو أعلى مراتب الإيمان.

يقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٨].

آخذين ما أتاهم ربهم أي: في الجنة، لم؟ إنهم كانوا قبل ذلك أي: في الدنيا محسنين، دليل الإحسان: كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ـ أي: كانوا قليلاً من الليل ما ينامون وبالأسحار هم يستغفرون.

عباد الله! كانوا لا ينامون من الليل إلا قليلاً، ماذا يفعلون؟ أكانوا يسهرون على أنغام الموسيقى؟! أكانوا يسهرون على شاشات المفسديون؟! أكانوا يشربون الخمر ويسكرون احتفالاً بذكرى رأس السنة؟! مسلم يسمى بمحمد أو علي أو عبد الله ويحتفل بعيد رأس السنة الميلادية، ويا ليته احتفل بها قياماً ولكنه احتفل بها سكرانَ راقصاً إلى أن طلع الفجر، فقارنوا يا عباد الله بين هؤلاء وهؤلاء، هؤلاء الذين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون يُمْطرون وتنزل عليهم الرحمة، أما الذين ينامون أو يقومون الليل سكارى احتفالاً برأس السنة فكيف يمطرون؟! والله لقد نزل المطر وارتفع بسبب المعاصي، ولو أُمطروا فيكون بسبب البهائم، ولولا البهائم لم يمطروا.

• دليل إحسانهم: كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، كانوا طوال الليل يصلون ومع ذلك في وقت السحر جلسوا يستغفرون، وكأنهم باتوا يعصون الله، وأما نحن فطوال الليل سكارى وعند الفجر وفي السحر جيف منتنة، عُبَّادٌ بالنهار للدنيا وجيف منتنة بالليل، أما أهل الجنة فقد ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

عباد الله! والله ـ عز وجل ـ في كتابه فرّق بين الذين يقومون الليل وبين الذين لا يقومون ولم يسوي بينهم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

عباد الله! ورسولنا الكريم ﷺ يحث أمته على قيام الليل، فيقول ﷺ كما سمعتم في الوصية التي معنا: «**عليكم بقيام الليل** ـ أي: إذا أردتم المطر فعليكم بقيام الليل، إذا أردتم النصر فعليكم بقيام الليل، إذا أردتم العزة في الدنيا والآخرة عليكم بقيام الليل ـ **فإنه دأب الصالحين قبلكم...**». ويقول ﷺ: «**يا أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلامٍ**»[1].

وقال ﷺ: «**إن في الجنة غُرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**»[2].

وقال ﷺ: «**إن في الليل لساعة لا يوافقها رجلٌ مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاهُ إياه، وذلك كلَّ ليلةٍ**»[3].

---

(١) **صحيح**: هـ: (٣٢٥١)، حم: (٥/ ٤٥١)، مي: (١٤٦٠)، ك: (٣/ ١٤)، طس: (٥/ ٣١٣)، ش: (٧/ ٢٥٧)، هب: (٦/ ٤٢٤)، [«ص.ج» (٧٨٦٥)].

(٢) **حسن**: حم: (٥/ ٣٤٣)، حب: (٥٠٩)، هق: (٤/ ٣٠٠)، [«ص.ج» (٢١٢٣)].

(٣) **صحيح**: م: (٧٥٧).

وقال ﷺ: «**إن الله ليضحك إلى رجلين: رجل قام في ليلة باردةٍ من فراشهِ ولحافهِ ودثاره** ـ أي: غطاؤه ـ **فتوضأ ثم قام إلى الصلاة، فيقول الله** ﷻ **لملائكته: ما حمل عبدي هذا على ما صنع؟ فيقولون: ربنا رجاءَ ما عندك، وشفقةً مما عندك، فيقول: فإني قد أعطيته ما رجا، وأمَّنته مما يخاف**»(١).

وقال ﷺ: «**إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلّى ركعتين جميعاً كُتبا في الذاكرين والذاكرات**»(٢).

عباد الله! على هذا فاسهروا، على هذا أيقظ أهلك، وليس على الخمر أو على الاحتفالات المبتدعة، قال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقهُ آناء الليل وآناء النهار**»(٣)، ويقول ﷺ: «**من قام بعشرِ آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين**»(٤). ويقول ﷺ يوماً لعبد الله بن عمر: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلّي بالليل**»(٥)، فكان ابن عمر بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً، وقال ﷺ: «**يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم بالليل فترك قيام الليل**»(٦).

- وذُكِرَ عندَ رسولِ الله ﷺ رجل نام ليلةً حتى أصبح فقال ﷺ: «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه**»(٧).

---

(١) **صحيح لغيره موقوف**: طب: (٩/ ١٠١)، [«ص.غ.هـ» (٦٣٠)].

(٢) **صحيح**: د: (١٣٠٩)، هـ: (١٣٣٥)، ك: (٢/ ٤٥٢)، طس: (٣/ ٢١٨)، طص: (١/ ١٦٠)، ش: (٢/ ٧٣)، [«ص.غ.هـ» (٦٢٦)].

(٣) **صحيح**: خ: (٧٠٩١)، م: (٨١٥).

(٤) **صحيح**: د: (١٣٩٨)، خز: (١١٤٤)، حب: (٢٥٧٢)، [«ص.ج» (٦٤٣٩)].

(٥) **صحيح**: خ: (٣٥٣٠).

(٦) **صحيح**: خ: (١١٠١)، م: (١١٥٩).

(٧) **صحيح**: خ: (٣٠٩٧)، م: (٧٧٤).

نام حتى أصبح أي حتى طلع الفجر، ولم يضيع صلاة الفجر فما بالنا يا عباد الله وقد ضيّعنا قيام الليل وصلاة الفجر!!

عباد الله! وهذا رسولنا ﷺ يضرب لنا مثلاً أعلى في قيام الليل فقد كان ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، تقول عائشة رضي الله عنها: «**إن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل ـ أي يصلي ـ حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال** ﷺ: «**أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً**»[1].

عباد الله! يقول ﷺ: «**عليكم بقيام الليل..**» الوصية.

الرسول ﷺ يحثنا على قيام الليل لم؟ لأن لقيام الليل آثار عظيمة وطيبةً على العبد في الدنيا والآخرة، فمن آثار قيام الليل على الإنسان:

أولاً: أن قيام الليل سبب لحل عُقَد الشيطان؛ فالشيطان يعقد على قافية رأس العبد، وقيام الليل يفسد هذه العقد، والعقد هي السحر كما قال ربنا في كتابه: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق: ٤].

والعقد ـ وهي السحر ـ من فعل شياطين الإنس والجن، فمن أراد ـ يا عباد الله ـ أن يحفظ نفسه وأولاده من السحر، ومن السحرة، ومن فعل الشياطين فعليه بقيام الليل، الدليل على ذلك:

قوله ﷺ: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدةٍ: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلّى انحلت عُقدهُ فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»[2].

ابن آدم! قم الليل وانظر إلى نفسك في اليوم الثاني وسترى نفسك نشيطاً طيب النفس طوال اليوم، أما الذي ضيَّع قيام الليل فتراه خبيث

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٥٥٧)، م: (٢٨٢٠).

(٢) **صحيح**: خ: (١٠٩١)، م: (٧٧٦).

النفس كسلان، فمن أراد أن يحفظ نفسه من فعل الشياطين فعليه بقيام الليل، في جوف الليل والناس نيام.

ثانياً: أن القيام يرفع صاحبه منزلة وشرفاً في الدنيا والآخرة، يقول ﷺ: «**أتاني جبريل فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس**»(١). والشرف: هو المنزلة والرفعة، يناله الرجل في الدنيا والآخرة.

● أما يوم القيامة فيكفيهم الجنة التي فيها من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما سمعتم: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٧].

ثالثاً: ومن آثار قيام الليل على صاحبه أنه يقربه من الله، ويكفر عنه السيئات، ويبعده عن المعاصي كما سمعتم في الوصية التي معنا «**عليكم بقيام الليل**»؛ أي: أن الذي يقوم من الليل فيصلي لله ـ عز وجل ـ يبتعد بهذه الصلاة عن المعاصي وعن الآثام.

رابعاً: ومن آثار قيام الليل على صاحبه: النور في الوجه لأن الرسول ﷺ قال: «**الصلاة نور**»(٢)، فيا عباد الله، المُوَفَّقُ من وُفِّقَ لقيام الليل، والسعيد من وفق لقيام الليل، والشقي المحروم هو من حُرم من قيام الليل.

اللّهم أرنا الحق حقاً وأرزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

❁ ❁ ❁

---

(١) **حسن**: ك: (٤/ ٣٦٠)، طس: (٤/٣٠٦)، حل: (٣/ ٢٥٣)، لس: (١٧٥٥)، [«س. ص» (٨٣١)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٢٣).



الوصية التاسعة عشرة:
«يا أيها الناس، توبوا إلى الله»

عباد الله! نحن لا نزال في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية التاسعة عشرة:

عن الأغرِّ بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس، توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب إلى الله واستغفره في كل يوم مائة مرة**»(١) وصية عظيمة من رسول عظيم يأمر أمته فيها بالتوبة إلى الله وبالاستغفار من الذنوب والمعاصي.

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن التوبة والاستغفار في هذا اليوم بالذات، أن فصل الشتاء قد انتصف بل تعدى النصف ولم ينزل المطر علينا حتى الآن، أقول: ذلك بسبب معاصي العصاة، وبسبب ظلم الظالمين، وبسبب إجرام المجرمين، وبسبب فسق الفاسقين، ومع ذلك وحتى الآن لم يفكر العصاة والمجرمون والفسقة في التوبة إلى الله، وفي الإنابة إلى الله، حتى ينزل المطر، فأردت يا عباد الله أن أقول ناصحاً ومحذراً: ألم يأنِ للعصاة أن يتوبوا إلى الله؟! ألم يأن الأوان للعصاة والمجرمين أن يتوبوا إلى الله ويرجعوا إلى الله حتى ينزل علينا المطر؟!

- ألم يأن الأوان لأكلة الربا أن يتوبوا إلى الله استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [آل عمران: ١٣٠].
- ألم يأنِ الأوان للزناة أن يتوبوا إلى الله استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ﴾ [الإسراء: ٣٢].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧٠٢)، حم: (٤/ ٢٦٠ ـ ٢٦١)، [«س.ص» (١٤٥٢)].

● ألم يأن الأوان للمتبرجات أن يتبن إلى الله استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

● ألم يأن الأوان لشارب الخمر أن يتوب إلى الله استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

● ألم يأن الأوان للذين يأكلون لحوم الأبرياء في مجالس الغيبة والنميمة أن يتوبوا إلى الله استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

أظن أنه قد آن الآوان للعصاة أن يتوبوا إلى الله، فماذا ينتظرون؟

ينتظرون أن تنزل علينا حجارة من السماء! ينتظرون أن يزلزل الله الأرض من تحت أقدامهم! ينتظرون أن يأتي يوم يطلبون فيه الماء فلا يجدونه! أظن أنه قد آن الآوان للعصاة أن يعودوا إلى الله، والعاقل من اتعظ بغيره، فالله ـ عز وجل ـ للعصاة بالمرصاد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٦ ـ ١٤].

إن ربك لبالمرصاد فيمنع المطر بسبب المعاصي والذنوب.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢]، الجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً، أظن أنه قد آن الأوان أن تتوبوا إلى الله، فالذي يأمر المطر أن ينزل علينا هو الله، والذي يأمر المطر أن يمر من فوق رؤوسنا إلى غيرنا

هو الله، ولو استسقينا ودعونا بالليل والنهار ونحن عاكفون على المعاصي ما استجاب الله لنا.

وذكر ﷺ: «... **الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول: يا رب، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك**»[(١)].

أنستسقي وقد أكلنا الربا؟! أنستسقي والزنا بيننا؟! أنستسقي ونساؤنا تخرج كاسيات عاريات؟! أنستسقي وقد حاربنا الله بالمعاصي؟!

يقول الله - عز وجل -: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: ٦٨ - ٧٠].

وقال - تعالى -: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤].

الذي ينزل الغيث هو الله وحده، وإذا نزل الماء على الأرض من الذي يمسكه على الأرض لتشربوا منه؟ إنه هو الله وحده: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾ [الملك: ٣٠].

أمريكا! روسيا! الشرق! الغرب! أموالكم التي في البنوك! أظن أنه قد آن الأوان للعصاة أن يتوبوا.

واللهِ ما نزل بلاء على أمة إلا بذنب ولا يُرْفَعُ إلا بتوبة، تريدون الماء توبوا إلى الله وارجعوا إليه فهو الذي ينزل الغيث وحده.

فواللهِ إن لم تتوبوا إلى الله وترجعوا إليه فلن ينزل المطر، وإنْ نزل فمن أجل البهائم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ [الرعد: ١١].

---

(١) **صحيح**: م: (١٠١٥).

عباد الله! **السبب الثاني**: أن كثيراً من العصاة يؤخرون التوبة ويسوِّفونها، غداً أتوب، بعد غدٍ أتوب فأردت أن أقول:

أولاً: التوبة تقبل قبل طلوع الشمس من مغربها، فإن طلعت الشمس من مغربها أغلقت أبواب التوبة.

كما قال ﷺ: «**إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»[(١)].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

ثانياً: التوبة تقبل قبل الموت، فإذا نام الإنسان في فراش الموت وبلغت الروح الحلقوم وغرغر أُغلقت في وجهه أبواب التوبة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨].

وقال ﷺ: «**إن الله ﷻ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[(٢)].

وبالمثال يتضح البيان:

● فهذا رجل أخبرنا عنه المصطفى ﷺ أنه قتل مائة نفس، ولكنه تاب قبل أن يموت، وعاد إلى الله قبل أن يغرغر فتاب الله عليه، وأدخله الجنة، وهو لم يسجد لله سجدة[(٣)].

● وهذا فرعون عليه لعنة الله ملأ الأرض فساداً واستكبر حتى إذا نزل به الموت قال إني تبت، فرد الله ﷻ عليه توبته ووبخه وقال له:

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧٥٩).

(٢) **حسن**: ت: (٣٥٣٧)، هـ: (٤٢٥٣)، حم: (٢/ ١٣٢)، ع: (١٠/ ٨١)، ش: (٧/ ١٧٣)، حب: (٦٢٨)، حل: (٥/ ١٩٠)، [«ص.ج» (١٩٠٣)].

(٣) **صحيح**: خ: (٣٢٨٣)، م: (٢٧٦٦)، انظر الخبر بتمامه.

﴿ءَآلۡـَٔـٰنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس: ٩١، ٩٢].

فيجب على العصاة أن يتوبوا على الفور من المعصية ولا يؤخرونها استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. واستجابة لقوله ﷺ: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه..**»، فالله ﷻ أخبرنا في كتابه أنه يقبل التوبة من الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ـ أي: يتوبون على الفور.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ [النساء: ١٧].

ووصف الله عباده المتقين بأنهم ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٥].

السبب الثالث: أنه قد حل بنا ضيف كريم، وهو شهر رمضان، شهر تغلق فيه أبواب النيران، شهر تفتح فيه أبواب الجنان، شهر تصفد فيه الشياطين، شهر ينادي فيه منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر.

والناس في هذا الشهر الكريم ـ الذي بدأ هذا اليوم ـ يقبلون على الله فيحافظون على الصلاة في المساجد، والمساجد تفرح بالتائبين الذين نسوا المساجد طوال العام فلم يعرفوها إلا في رمضان! ويحك يا عبد الله المسلم، تبخل على نفسك أن تأتي إلى بيت الله في كل يوم خمس مرات فلا تأتي إلا في شهر رمضان! ويحك أيها المسلم ما أبخلك!!

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَـٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

ولأن الكثير من الناس يقبل على الله في شهر رمضان، أردت في

هذا اليوم أن أذكر وأن أُبشر التائبين الذين تابوا إلى الله وعادوا إلى الله بما أعد الله للتائبين لعلهم يستقيموا على توبتهم في رمضان وبعد رمضان.

اعلم أيها التائب إلى الله ما أعد الله لك:

أولاً: أن الله يحبك، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وإذا أحبك الله ﷻ حبَّب فيك جبريل، وحبب فيك أهل السماء، وحبَّبك إلى أهل الأرض، وإذا أحبك الله أيها التائب لا يعذبك في النار. كما قال ﷺ: «**والله لا يلقي الله حبيبه في النار**»[١].

ثانياً: اعلم أيها التائب أن الملائكة المقربين، حملة العرش، يدعون لك بالليل والنهار.

يقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر: ٧ ـ ٩].

ثالثاً: اعلم أيها التائب أن الله يفرح بتوبتك: قال ﷺ: «**لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللّهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**»[٢].

رابعاً: اعلم أيها التائب أَن الله يغفر ذنبك مهما كان كبيراً.

---

(١) **صحيح**: ك: (٤/ ١٩٥)، حم: (٣/ ٢٣٥)، ع: (٦/ ٣٩٧)، هب: (٥/ ٤٤٢)، «س. ص» (٢٤٠٧)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٧٤٧).

يقول الله ﷻ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ لمن يا ربنا ﴿لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، من تاب من كفره غفر الله له، من تاب من الزنا غفر الله له، من تاب من الربا غفر الله له.

ويقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

خامساً: اعلم أيها التائب أن الله ﷻ يغفر ذنبك ويبدل سيئاتك حسنات، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

عباد الله! الذنوب والمعاصي سبب لكل شر، والتوبة من الذنوب والمعاصي سبب لكل خير، ونحن حُرمنا المطر بسبب الذنوب والمعاصي، والمطر ينزل بالتوبة من الذنوب والمعاصي، ولذلك أمر الله عباده بالتوبة: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وأمر رسولنا ﷺ أمته بالتوبة: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه**»، فسعادة الدنيا والآخرة بالتوبة النصوح من الذنوب والمعاصي، والتوبة النصوح التي تقبل عند الله هي التوبة التي تتوفر فيها الشروط التالية:

الشرط الأول: أن تقلع أيها العاصي عن الذنب، يا آكل الربا أترك الربا، يا تارك الصلاة حافظ على الصلاة، يا أيها العاق لوالديه عد إلى برهما.

الشرط الثاني: الندم على فعل الذنب.

الشرط الثالث: العزم الأكيد على عدم العودة إلى المعصية مرة ثانية.

الشرط الرابع: أن تتوب قبل طلوع الشمس من مغربها، وقبل أن تنام في فراش الموت.

هذا إذا كان الذنب بينك وبين الله، أما إذا كان الذنب بينك وبين آدمي فعليك مع الشروط السابقة أن تتحلل ممن وقعت في عرضه أو ظلمته أو أكلت ماله في الدنيا قبل الآخرة، فتتحلَّل منه وتؤدي إليه حقه قبل أن لا يكون درهم ولا دينار.

عباد الله! وبعد أن أمر الرسول ﷺ بالتوبة أمرنا بالاستغفار فقال: «**واستغفروه فإني أستغفر في اليوم مائة مرة**»، لماذا يا عباد الله يأمر ﷺ أمته بالاستغفار بعد التوبة؟ أتدرون لم؟.

أولاً: لأن الاستغفار يجلي القلوب من صدأ المعاصي، فالقلب يصدأ بالمعصية وجلاء هذا القلب بالاستغفار. يقول ﷺ: «**إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»(١)، ومن الذي يستغفر؟ إنه رسول الله الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما بالك بآكل الربا، والظالم، والنمام، والغشاش. ويقول ﷺ: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صُقِلَ قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الران الذي ذكر الله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾**» [المطففين: ١٤](٢).

ثانياً: الاستغفار سبب لمغفرة الذنوب وإن كانت تملأُ ما بين السماء والأرض، يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أُبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم**

---

(١) **صحيح**: م: (٢٧٠٢).

(٢) **حسن**: ت: (٣٣٣٤)، هـ: (٤٢٤٤)، حم: (٢/ ٢٩٧)، حب: (٢٧٨٧)، ك: (١/ ٤٥)، هب: (٥/ ٤٤٠)، [«ص.ج» (١٦٧٠)].

لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»[١].

ثالثاً: الاستغفار سبب كل خير، تريد مطراً؟ عليك بالاستغفار، تريد ولداً؟ عليك بالاستغفار، تريد مالاً؟ عليك بالاستغفار، تريد جاهاً؟ عليك بالاستغفار. يقول الله ـ عز وجل ـ على لسان رسوله نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٣].

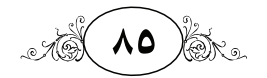
عباد الله! التوبة من المعاصي والاستغفار هو السبيل الوحيد أمامنا لنزول المطر فهل من تائب؟ وهل فكرتم في التوبة إلى الله لينزل علينا المطر وحتى إذا رفعنا أيدينا واستسقينا ودعونا الله عز وجل استجاب لنا فأنا أخشى بسبب الذنوب والمعاصي أن يموت الأطفال، وكبار السن، والبهائم! ويحك أيها العاصي واللهِ إن الله سائلك يوم القيامة عمن ماتوا بسبب معصيتك، فتنبه.

ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ولا تهلكنا بما فعل المبطلون

❀ ❀ ❀

---

(١) **حسن**: ت: (٣٥٤٠)، طس: (٤/ ٣١٥)، حل: (٢/ ٢٣١)، [«ص.ج» (٤٣٣٨)].



الوصية العشرون: «تابعوا بين الحج والعمرة...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية العشرين:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد**»(١).

وصية عظيمة من رسول عظيم، يحث فيها أمته على المتابعة بين الحج والعمرة، ويبيّن لهم أنهما ينفيان الفقر والذنوب عن المسلم كما ينفي الكير خبث الحديد.

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن الحج والعمرة في هذا اليوم بالذات أمور ثلاثة:

الأمر الأول: أننا في شهر رمضان المبارك، وفي هذا الشهر الكريم ترى الناس يُقبلون على الله بالتوبة النصوح، ويُقبلون على الله عز وجل بالأعمال الصالحة، ويتنافسون في أعمال البر فأردت يا عباد الله أن أذكر ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ بفضل العمرة في رمضان.

يقول ﷺ: «**عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي**»(٢)، فبيّن ﷺ أن العمرة في شهر رمضان تعدل حجة معه ﷺ، ويقول ﷺ في فضل

---

(١) **صحيح**: ت: (٨١٠)، ن: (٢٦٣٠)، هـ: (٢٨٨٧)، حم: (١/ ٢٥)، حب: (٦٣٩٣)، طب: (١١/ ١٨١)، طس: (٤/ ١٣٩)، بز: (٥/ ١٣٤)، [«س.ص» (١٢٠٠)].

(٢) **صحيح**: خ: (١٧٦٤)، م: (١٢٥٦).

العمرة عامة: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»(١)، وقال ﷺ كما سمعتم في الوصية التي معنا: «**تابعوا بين الحج والعمرة...**».

ولذلك يجب على المسلم أن يبادر بعمرة في رمضان إن استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ لأن الأيام تمر، والعمر ينقضي، والموت يأتي بغتة.

نسيرُ إلى الآجال في كلِّ لحظةٍ ... وأيامُنا تُطوى وهن مراحلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه ... إذا ما تخطتُه الأماني باطلُ
وما أقبحَ التفريطَ في زمن الصبا ... فكيف به والشيبُ للرأس شاعلُ
ترحلْ من الدنيا بزادٍ من التُّقى ... فعمرُك أيامٌ وهن قلائل

الأمر الثاني: أننا على أبوابِ أشهر الحج فأردت أن أُذكر بفضل الحج والذكرى تنفع المؤمنين، والدال على الخير كفاعله.

• فاعلموا عباد الله! أن الحج إلى بيت الله ﷻ من أفضل الأعمال إلى الله، سُئل ﷺ: أي العمل أفضل؟ فقال ﷺ: «**إيمان بالله ورسوله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»(٢).

• واعلموا عباد الله؛ أن الحج ينفي الخطايا والذنوب، قال ﷺ: «**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع** ـ أي: من حجه ـ **كيوم ولدته أمه**»(٣). وكما سمعتم في الوصية التي معنا: «**تابعوا بين الحج والعمرة..**».

• واعلموا عباد الله! أَن الحج جهاد في سبيل الله، يقول ﷺ: «**جهاد الكبير والصغير، والضعيف والمرأة، الحج والعمرة**»(٤). فالحج يا عباد الله! جهاد بالمال والنفس في سبيل الله.

---

(١) **صحيح**: خ: (١٦٨٣)، م: (١٣٤٩).
(٢) **صحيح**: خ: (٢٦)، م: (٨٣). (٣) **صحيح**: خ: (١٤٤٩).
(٤) **حسن لغيره**: ن: (٢٦٢٦)، [«ص.غ.هـ» (١١٠٠)].

• واعلموا يا أمة الإسلام: أن الحج سبب لدخول الجنة، يقول ﷺ: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»(١).

• واعلموا عباد الله! أن الحج سبب لإجابة الدعاء، يقول ﷺ: «**الغازي في سبيل الله، والحاج والمعتمر وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم**»(٢).

• واعلموا عباد الله! أَن الحج ركن من أركان الإسلام كما قال ﷺ: «**بني الإسلام على خمسٍ: شهادةِ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان**»(٣). ولذلك يجب على المسلم إن استطاع أن يحج أن يبادر إلى الحج استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

عباد الله! **أما الأمر الثالث** الذي دفعني للحديث عن الحج والعمرة، هو أَن كثيراً من المسلمين يستطيعون الحج ولكنهم تكاسلوا عنه، أما بالنسبة للدنيا فهم يسافرون إلى بلاد الغرب ولا يملون، ولكنهم عن الحج يتكاسلون، من أجل الدنيا يسافرون ويتغربون ويبتعدون عن أهليهم، وترى كثيراً من أغنياء المسلمين يستطيعون الحج، ولكنهم للأسف الشديد لا يذهبون إلى الحج، فأقول لهؤلاء ناصحاً أميناً:

• يقول ﷺ: «**من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرضُ المريض، وتضل الضالَّة، وتعرضُ الحاجة**»(٤). اليوم صحة غداً مرض، اليوم غنًى

---

(١) **صحيح**: خ: (١٦٨٣)، م: (١٣٤٩).
(٢) **صحيح**: هـ: (٢٨٩٣)، حب: (٤٦١٣)، طب: (١٢/ ٤٢٢)، هب: (٣/ ٤٧٦)، [«ص.ج» (٤١٧١)].
(٣) **صحيح**: خ: (٨)، م: (١٦).
(٤) **حسن**: هـ: (٢٨٨٣)، حم: (١/ ٢١٤)، طب: (١٨/ ٢٨٨)، هق: (٤/ ٣٤٠)، [«ص.ج» (٦٠٠٤)].

غداً فقر، اليوم حياة غداً موت، ولذلك كان ﷺ يقول لابن عمر: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»(١)، فكان ابن عمر بعدها يقول: (إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك، ومن غناك لفقرك، وعد نفسك يا عبد الله من أصحاب القبور فإنك لا تدري ما اسمك غداً)(٢).

• نقول لهؤلاء: يقول ﷺ: «**يا أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا**»(٣).

على المسلم إن استطاع الحج أن يبادر إلى الحج قبل أن ينام على فراش الموت، فيكون قد فرّط فيندم في وقت لا ينفع فيه الندم، ويقول: رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ـ فيقال له: كلَّا.

ابن آدم!

تزودْ من التقوى فإنك لا تدري	إذا جَنَّ ليل هل تعيشُ إلى الفجرِ
فكم من صحيح مات من غير علة	وكم من عليل عاش حيناً من الدهر

عباد الله! **اعلموا أن للحج شروطاً خمس:**

فمن توفرت فيه هذه الشروط فعليه أن يبادر بالحج.

الشرط الأول: الإسلام، فالحج لا يجب على الكافر؛ لأن الله ﷻ اشترط في قبول الأعمال الإيمان، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل: ٩٧].

الشرط الثاني: العقل، فالحج لا يجب على المجنون؛ لأنه قد رفع عنه القلم.

(١) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣).
(٢) **صحيح**: ت: (٢٣٣٣)، ش: (٧/ ٧٥)، هب: (٧/ ٢٦٢)، [«ص.غ.هـ» (٣٣٤١)].
(٣) **صحيح**: م: (١٣٣٧).

الشرط الثالث: البلوغ، فالحج لا يجب على الصبي؛ لأنه قد رفع عنه القلم.

الشرط الرابع: الحرية، فالحج لا يجب على العبد؛ لأنه ليس مستطيعاً.

الشرط الخامس: الاستطاعة، فالحج لا يجب على العاجز.

وهذه الشروط يا عباد الله في حق الرجال والنساء، ولكن بالنسبة للنساء فهناك **شرط سادس**: ألا وهو المَحْرَمُ، فلا بد من توفر المحرم للمرأة وإلا فلا يجب عليها الحج، فمن كانت ذات محرم تحج، والتي لم يتوفر لها المحرم فلا يجب عليها الحج.

وذلك لأن الرسول ﷺ نهى أن تسافر المرأة بدون محرم فقال ﷺ: «**لا يخلُونَّ رجل بامرأةٍ إلاَّ ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا ومعها ذي محرم**» فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجَّة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال ـ ﷺ ـ: «**انطلق فحج مع امرأتك**»[(١)]. فنهى المرأة أن تحج بدون محرم، وسمح للرجل أن يتخلف عن الغزو في سبيل الله ليحج مع امرأته، فليتقِ الله الذين يسمحون لبناتهم أن يسافرن إلى الخارج للدراسة من أجل الشهادة بدون محرم، فالعرض غالٍ ولا يعرف قيمة العرض إلا من فقده، فليتقِ الله أولياء الأمور.

فها هو رسول الله ﷺ قد نهى المرأة أن تسافر إلى الحج ـ إلى بيت الله ـ مع المسلمين الأتقياء وهي بدون محرم، فما بالنا بفتاة لا دين لها تذهب إلى بلاد الكفر والإلحاد مع شباب لا يعرفون الله، ثم إذا فقدت شرفها وعرضها، عندها ينتبه هذا المجنون، ويقول: يا ليتني ما فعلت. فالعرض غالٍ يا عبد الله، وأنت راعٍ ومسؤول أمام الله يوم القيامة عن هذه الرعية.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٩٣٥)، م: (١٣٤١).

عباد الله! يقول ﷺ في وصيته الجامعة «**تابعوا بين الحج والعمرة...**» فيا عباد الله، من استطاع منكم أن يتابع بين الحج والعمرة فلا يتأخر ولا يقصر فإنهما ينفيان عنك الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد.

واعلموا عباد الله! أنه يجب على الحاج والمعتمر ما يلي:

أولاً: الإخلاص لله ﷻ: فمن أراد الحج أو العمرة فعليه أن يبتغي بذلك وجه الله ـ ﷻ ـ والدار الآخرة؛ لأن الله ـ ﷻ ـ قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيّة، وإنما لامرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[١].

ثانياً: يجب على الحاج والمعتمر أن يحج ويعتمر كما فعل رسول الله ﷺ؛ لأن الرسول ﷺ حج أمام أصحابه وقال: «**خذوا عني مناسككم**»[٢]، وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٣].

ولذلك يجب على المسلم إذا أراد الحج أو العمرة أن يتعلم كيف يحج، وأن يتعلم كيف يعتمر لأن كثيراً من الناس يذهبون إلى الحج والعمرة ويعودون بدون حج ولا عمرة لأنهم عبدوا الله كما هووا وكما شاءوا، وكما أرادوا.

ثالثاً: يجب على الحاج والمعتمر أن يتقي الله ﷻ في ماله عامةٍ وفي المال الذي يذهب به إلى الحج والعمرة خاصة، وذلك لأن الذي يجمع المال من الحرام يتعرض لسخط الله.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٤)، م: (١٩٠٧).
(٢) **صحيح**: ن: (٣٠٦٢)، حم: (٣/٣١٨)، خز: (٢٨٧٧)، هب: (٥/١٢٥)، [«ص.ج» (٧٨٨٢)].
(٣) **صحيح**: م: (١٧١٨).

يقول ﷺ: «**أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله ـ تعالى ـ أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال ـ تعالى ـ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٥١﴾ [المؤمنون: ٥١] الآية، **وقال ـ تعالى ـ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢] ـ **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟**»(١).

فاتقِ الله في مالك يا عبد الله؛ فأنت واقف بين يدي الله يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: م: (١٠١٥).

٨٦

الوصية الحادية والعشرون: «مَنْ آتاه الله مالاً فلم يُؤَدِّ زكاته»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الحادية والعشرين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مُثِّل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه** ـ أي: شدقيه ـ **يقول: أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية:** ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ **إلى آخر الآية**»[1] [آل عمران: ١٨٠].

عباد الله! واللهِ إنها لوصية عظيمة من رسول عظيم يهدد فيها مانع الزكاة، ويحذره ويخوّفه مِنْ جريمة منع الزكاة.

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن الزكاة في هذا اليوم أمور ثلاث:

الأمر الأول: أن كثيراً من المسلمين في هذا الزمان بخلوا بزكاة أموالهم، وقطَّع البخل قلوبَهم حتى أنهم بخلوا على أنفسهم، وعلى أولادهم، وعلى الفقراء؛ فمنعوا إخراج الزكاة وحتى الإنفاق من هذا المال، لا همَّ لهم إلا أن يجمعوا المال ثم يخرجوا من هذه الدنيا ويتركوه خلفهم! فأردت ـ يا عباد الله مذكِّراً وناصحاً أميناً ـ أن أُذكر هؤلاء الذين يجمعون الأموال ويبخلون بالزكاة بالوعيد والتهديد الذي جاء

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٢٨٩).

في الكتاب والسنة لمانع الزكاة لعلهم بالذكرى يتوبون وينتبهون من غفلتهم ويقومون بإخراج الزكاة لمستحقيها في هذا الشهر المبارك فأقول: يا أيها البخيل بالزكاة على الفقراء، اعلم بأن هذا المال الذي تجمعه بالليل والنهار ستطوق به يوم القيامة في أرض المحشر، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٌ لِّنَفۡسٍ شَيۡـًٔاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: ١٧ ـ ١٩].

ويقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرًا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

ورسولنا الكريم ﷺ يفسر لنا هذه الآية فيقول كما سمعتم في الوصية: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤدِ زكاته مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان..**» الحديث. فهل تقدر على هذا العذاب يا أيها البخيل بالزكاة. واعلم أيها البخيل بالزكاة أن هذا المال يوم القيامة يحول إلى صفائح من نار يُكوى بها جبينك، وظهرك، وجنبك. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

ورسولنا ﷺ يفسر لنا هذه الآية فيقول ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار**»(١).

يعذب البخيل بماله يوم القيامة جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

---

(١) **صحيح**: م: (٩٨٧).

عباد الله! وإذا تأملنا هذه الآية وجدنا بأن الله ـ ﷻ ـ لم يستثن شيئاً؛ أي: لم يستثن حُلِيَّ المرأة.

فانتبهوا وأفهموا وعوا، إذا نظرنا إلى الآية الكريمة لم يستثن ربنا ـ جلّ وعلا ـ شيئاً مما تجب فيه الزكاة من الذهب والفضة حتى أنه لم يستثن ما كان حلياً إذا بلغ النصاب ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الآية.

هل استثنى ربنا ـ جل وعلا ـ في الآية ما كان حلياً يا عباد الله؟ الجواب: لا. وانظروا إلى تفسير رسول الله ﷺ للآية هل استثنى ما كان حلياً؟ يقول ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها، إلا مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان...**».

• بل قد جاء في السنّة أن امرأة من اليمن أتت النبي ﷺ ومعها ابنةٌ لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب فقال لها: («**أتعطين زكاة هذا**» قالت: لا. قال: «**أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟**» قال: فخلعتهما فألقتهما إلى النبي ﷺ وقالت: هما لله ولرسوله)[1].

فتبيّن أن الصحيح من أقوال العلماء في حلي المرأة قول من قال: إن في حلي المرأة زكاة إذا بلغ النصاب فللعلماء في حلي المرأة قولان:

• فريق قالوا: لا زكاة في حلي المرأة.

• وفريق قالوا: فيه الزكاة.

والفريق الذي قال بالزكاة في حلي المرأة إذا بلغ النصاب كما سمعتم هم الذين معهم الدليل، ولكن الفتوى الأخرى التي تقول بعدم الزكاة في حلي المرأة هي التي تتناسب مع هوانا ومع حبنا للمال، ولذلك نرى كثيراً من الناس يأخذون بها ولا يخرجون زكاة الذهب عندهم، حتى

---

(١) **حسن**: د: (١٥٦٣)، ت: (٦٣٧)، ن: (٢٤٧٩)، حم: (٢/ ٢٠٤)، طب: (٢٤/ ١٧٠)، [«ص.غ.هـ» (٧٦٨)].

أَنَّ هناك من الناس من يخزن في بيته بخمسين ألف دينار من الذهب، ويقول: إنه لزينة المرأة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، تذكر أنك ستعذب به يوم القيامة يا من بخلت بزكاته.

عباد الله! ثم نقول لهذا البخيل بالزكاة:

- اعلم أيها البخيل أن الملائكة تدعو عليك بالفقر بالليل والنهار، يقول ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللّهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللّهم أعط ممسكاً تلفاً**»[١].

ووالله ما سمعنا عن أحدٍ منع الزكاة، وحرم الفقراء من ماله، إلا حرمه الله هذا المال إما بحريق، وإما بسرقة، وإما أن يأخذه ورثته من بعده ويُسْأَل هو عن هذا المال أمام الله.

- أيها البخيل بالزكاة، اعلم أن منع الزكاة سبب لمنع المطر من السماء، قال ﷺ: «**يا معشر المهاجرين خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن**»، ـ فذكر من هذه الخمس ـ: «**ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا**»[٢].

- أيها البخيل بالزكاة، اعلم أنك ستعذب في النار، قال ﷺ: «**مانع الزكاة يوم القيامة في النار**»[٣].

- واعلم أيها البخيل أن البخل بالزكاة، والبخل بالإنفاق في سبيل الله سبب لسفك الدماء: يقول ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»[٤].

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٧٤)، م: (١٠١٠).
(٢) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، ك: (٤/ ٥٨٢)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].
(٣) **حسن**: طص: (٢/ ١٤٥)، [«ص.ج» (٥٨٠٧)].
(٤) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

فيا عباد الله! جامع المال، الذي بخل بإخراج الزكاة يعذب في الدنيا بجمع هذا المال فتراه لا يعرف طعم النوم لأنه يفكر في جمع المال، وله عذاب عند الموت وهو يفارق هذا المال؛ لأنه يحبه والفراق صعب عليه، فعندما يفارق البخيل هذا المال تراه يتألم لأنه يفارق حبيبه! وعذاب له يوم القيامة عندما يقف أمام الجبار يسأله عن هذا المال من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ فالعاقل هو الذي ينفق من هذا المال، ويقدم منه بَيْن يديه عند الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

فقدّم يا ابن آدم لنفسك في حياتك ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، ولذلك يقول ربنا ـ جل وعلا ـ محذراً عباده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ٩ ـ ١١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ [إبراهيم: ٣١].

فيا أيها البخيل بالزكاة، أتمنع الزكاة بعدما سمعت؟!! أترضى لنفسك هذا العذاب يوم القيامة؟ أتصبر على عذاب جهنم؟ أظن أن الجواب: لا. فأنفق وأخرج الزكاة قبل أن تندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

عباد الله! أما **الأمر الثاني** الذي دفعني للحديث عن الزكاة أن هناك فريقاً من الناس، وقليل ما هم ـ يخرجون زكاة أموالهم في هذا الشهر المبارك فأردت أن أبشرهم بمالهم عند الله من النعيم المقيم.

فأقول: أيُّها المزكي، أبشر إذا أخرجت زكاة مالك، فالله ﷻ

يطهرك ويطهر هذا المال. قال ـ تعالى ـ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

طهرةٌ وزكاة للنفس والمال، ولذلك من يُخْرِج زكاة ماله بعد أن يتغلب على نفسه الشحيحة، يشعر باللذة، ويشعر بحلاوة الإيمان وبطمأنينة النفس؛ لأنه زكى نفسه من مرض الشح والبخل حين أنفق في سبيل الله.

أما الذي يمنع الزكاة فتراه دائماً في كرب وفي نكد، وفي ضنك، لم؟ لأنه مريض بمرض خطير ألا وهو مرض الشح والبخل.

● أيها المزكي لمالك، أبشر، فأنت من المرحومين يوم القيامة عند الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ [التوبة: ٧١].

● اعلم أيها المزكي أنك من الذين يمكنون في الأرض إن شاء الله. قال ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)﴾ [الحج: ٤١].

● اعلم أيها المزكي أنك إن شاء الله ـ تعالى ـ من أهل الجنة، قال تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩)﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٩].

***عباد الله!* أما الأمر الثالث الذي دفعني للحديث عن الزكاة فهو** أن كثيراً من المسلمين في هذا الزمان يتهاونون في أمر الزكاة، ويتساهلون في أمر الزكاة، ويحتالون على الله في الزكاة، فأقول لهم محذراً:

● اعلموا أن الزكاة ركن من أركان الإسلام ـ وهي الركن الثالث فيه؛ يقول ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن**

محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان»[١].

● واعلموا عباد الله أن الله ﷻ ولأهمية الزكاة قرنها مع الصلاة في كتابه في اثنين وثمانين موضعاً.

● واعلموا أن أهمية الزكاة جعلت الصدِّيقُ رضي الله عنه يحارب الذين منعوا الزكاة وفرّقوا بين الصلاة والزكاة.

● واعلموا عباد الله أن من أنكر الزكاة وجحد فرضية الزكاة فهو كافر خارج عن ملة الإسلام يحل دمه وعرضه، وإذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين.

● واعلموا عباد الله أن الزكاة فرض على كل مسلم حرٍ ملك النصاب.

● واعلموا عباد الله أن الزكاة لا تجب على المال إلا إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول.

عباد الله! أما بالنسبة لزكاة الفطر، فحكمها: أنها واجبة على كل مسلم ومسلمة، الدليل قول ابن عمر رضي الله عنهما: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة)[٢].

أما حكمتها: أي الحكمة من زكاة الفطر: أنها طهرةٌ للصائم من الرفث، ومن اللغو، وطعمة للمساكين.

يقول ابن عباس رضي الله عنه: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرةٌ للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين)[٣].

---

(١) **صحيح**: خ: (٨)، م: (١٦). (٢) **صحيح**: خ: (١٤٣٢).

(٣) **حسن**: د: (١٦٠٩)، هـ: (١٨٢٧)، ك: (١/٥٦٨)، قط: (٢/١٣٨)، [«ص.غ.هـ» (١٠٨٥)].

أما مقدارها: فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: (كنا نخرج زكاة الفطر ـ أي: على عهد رسول الله ﷺ ـ صاعاً من طعام أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من أقط، أو صاعاً من زبيب)(١).

هل سمعتم أنهم أخرجوا ديناراً أو نصف دينار؟ لقد كانوا يخرجونها كما فرض رسول الله ﷺ لأن خير الهدي هدي محمد ﷺ.

أما وقتها: فتخرج قبل صلاة العيد ـ أي: إذا انتهى رمضان أخرجها الناس قبل صلاة العيد كما قال ابن عباس: (فمن أدّاها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات)(٢).

اللّهم فقهنا في ديننا
اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه

❀ ❀ ❀

(١) **صحيح**: خ: (١٤٣٥).
(٢) **حسن**: [«ص.غ.هـ» (١٠٨٥)] وقد تقدم تخريجه.



الوصية الثانية والعشرون:
«إنَّ الدعاء ينفع ممّا نزل وممّا لم ينزل...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثانية والعشرين:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء**»[1]، وصية عظيمة من رسول عظيم يحث أُمّته فيها على الدعاء، ويبيّن لهم أن الدعاء ينفع صاحبه مما نزل ومما لم ينزل.

عباد الله! الله ـ عز وجل ـ أمرنا بدعائه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ ووعدنا بالإجابة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال ﷺ: قال الله عز وجل: «**قسّمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل**»[2].

ويقول ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**»[3].

---

(١) **حسن لغيره**: ت: (٣٥٤٨)، ك: (١/ ٦٧٠)، [«ص.غ.هـ» (١٦٣٤)].

(٢) **صحيح**: م: (٣٩٥).

(٣) **حسن**: ت: (٣٤٧٩)، ك: (١/ ٦٧٠)، [«ص.ج» (٢٤٥)].

عباد الله! واللهُ ﷻ يحب من عبده أن يسأله من كل شيء، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

فليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأله الملح، وحتى يسأله نعله إذا انقطع.

واعلم يا عبد الله! أن الله ﷻ يغضب عليك إذا لم تدعه، فالله ﷻ يفرح ويرضى منك أن تدعوه وتطلب منه كل شيء ويغضب عليك إذا تركت سؤاله.

يقول ﷺ: «**إنه من لم يسأل الله يغضب عليه**»[١]، وقال القائل:

لا تسألنَّ بُنَيَّ آدم حاجةً ... وَسَلِ الذي أبوابُه لا تُحْجبُ
الله يغضبُ أن تركتَ سؤالَه ... وبُنَيُّ آدمَ حين يُسأل يغضبُ

واعلموا! أَن الله ـ ﷻ ـ توعّد الذين يستكبرون عن دعائه بالنار.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

فالله ـ ﷻ ـ أمرنا بدعائه، ووعدنا بالإجابة وعلمنا في كتابه وعلى لسان رسوله كيف ندعوه، فمن أراد أن يدعو الله ﷻ فعليه أن يتعلم ما يلي:

أولاً: عليك ـ يا عبد الله ـ إذا أردت أن تدعو الله ـ ﷻ ـ أن تدعوه بربوبيته، أن تقول وأنت رافع يديك: يا رب، يا رب، يا رب.. لأن الله علمنا ذلك في كتابه واقرءوا آخر سورة البقرة حيث علمنا الله ـ ﷻ ـ فيها كيف ندعوه.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا

---

(١) **حسن**: ت: (٣٣٧٣)، ك: (١/ ٦٦٧)، خد: (٦٥٨)، ع: (١٢/ ١٠)، [«ص.ت» (٢٦٨٦)].

طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وفي آخر سورة آل عمران علمنا ربنا ـ جل وعلا ـ كيف ندعوه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ.... إلى أن قال: إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، يقول الله ـ عز وجل ـ بعد أن علمنا الدعاء: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وكذلك إذا قرأت دعاءً لنبي من الأنبياء في كتاب الله تجده يقول ربنا.

ثانياً: أن تسأل الله ـ عز وجل ـ بأسمائه الحسنى، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وسمع الرسول ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: (اللّهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد)، فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سئل به أعطى**»(١).

ثالثاً: على الداعي إذا دعا الله ـ عز وجل ـ أن يستغل الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء، كوقت إفطار الصائم ـ فللصائم دعوة مستجابة ـ وفي يوم الجمعة بعد العصر ـ ففي يوم الجمعة ساعة إذا دعوت الله فيها استجاب الله لك ـ وفي يوم عرفة، وبين الآذان والإقامة حيث لا يرد الدعاء، وعندما تكون ساجداً لله فإنك أقرب ما تكون من ربك قال ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»(٢)، وكذلك في شهر رمضان عامة وفي ليلة القدر خاصة، تقول عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله أرأيت إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال ﷺ: «**قولي: اللّهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**»(٣)، فالعاقل

---

(١) **صحيح**: د: (١٤٩٣)، ت: (٣٤٧٥)، حم: (٥/ ٣٥٠)، حب: (٨٩١)، ك: (١/ ٦٨٣)، [«ص.غ.هـ» (١٦٤٠)].

(٢) **صحيح**: م: (٤٨٢).

(٣) **صحيح**: ت: (٣٥١٣)، هـ: (٣٨٥٠)، حم: (٦/ ١٨٣)، ك: (١/ ٧١٢)، هب: (٣/ ٣٣٩)، [«ص.غ.هـ» (٣٣٩١)].

هو الذي يستغل هذه الأوقات التي يجاب فيها الدعاء كشهر رمضان وليلة القدر، وها نحن يا عباد الله في العشر الأواخر من رمضان ولقد بيَّن لنا الرسول ﷺ وأرشدنا إلى أن نلتمس ليلة القدر لكنك ترى الكثير من المسلمين يجلسون في بيوتهم فإذا جاءت ليلة السابع والعشرين هرولوا إلى المساجد وظنوا واعتقدوا أنها هي فقط ليلة القدر، لا يا عباد الله، أرشدنا رسول الله ﷺ أن نلتمس هذه الليلة في الليالي العشر الأخيرة من رمضان وفي الوتر منها خاصة، فربما تكون في ليلة الحادي والعشرين، وربما تكون ليلة الثالث والعشرين، وربما تكون ليلة الخامس والعشرين، وربما تكون ليلة السابع والعشرين، وربما تكون ليلة التاسع والعشرين، وكلها أوقات فاضلة، على العاقل أن يستغلها وأن يقول: يا رب، ويسأل الله من خير الدنيا والآخرة فالله ﷻ أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة.

عباد الله! وهنا سؤال مهم.

هل ينفع الدعاء صاحبه والله ﷻ قد قدَّر كل شيء؟ رسولنا الكريم ﷺ يجيب عن هذا السؤال، ويبيّن أن الدعاء ينفع صاحبه مما نزل ومما لم ينزل، فقال في وصيته التي معنا: «**إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل...**»، وبالمثال يتضح المقال.

- لنضرب مثالاً يبيّن لنا أن الدعاء ينفع صاحبه مما نزل.

- هذا أيوب عليه السلام نزل به الضرّ، ونزل به البلاء في جسده، وفي أهله، وفي ماله، فماذا فعل أيوب عليه السلام؟ دعا الله ﷻ فانتفع بدعائه، إذ رفع الله عنه الضر وشفاه من مرضه، وأعطاه أهله ومثلهم معهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

- وهذا يونس عليه السلام عندما سُجن في بطن الحوت، دعا الله ﷻ أن

يكشف غمه، وأن يرفع كربه، فاستجاب الله ليونس عليه السلام في دعائه بأن رفع عنه البلاء بعد ما نزل.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

أما الأمثلة على كون الدعاء ينفع ما لم ينزل:

• فهؤلاء قوم يونس عليه السلام عندما عصوه وهددهم بالعذاب من عند الله، خرجوا إلى الصحارى يجأرون إلى الله، يرفعون أيديهم إلى الله، ويدعون الله أن يرفع عنهم العذاب فاستجاب الله لهم ورفع عنهم العذاب. قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨﴾ [يونس: ٩٨].

مثال آخر:

• وهذا زكريا عليه السلام اشتاق إلى الولد، يريد أن يكون له وريث يرث دعوته إلى الله ـ عز وجل ـ، فدعا الله أن يرزقه غلاماً فاستجاب الله له ووهب له غلاماً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

وحينما كان رسولنا صلى الله عليه وسلم يخطب في الناس الجمعة طلب الناس منه أن يستسقي لهم، أن يطلب السقيا من الله ـ عز وجل ـ فرفع صلى الله عليه وسلم يديه إلى السماء، ودعا الله ـ عز وجل ـ وطلب الغيث، فما هي إلا لحظات وتكونت السحب ونزل المطر أسبوعاً كاملاً[1].

---

(١) **صحيح**: خ: (٩٧٣)، انظر الحديث بتمامه.

• فالدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، ولذلك قال ﷺ: «**لا يرد القضاء إلا الدعاء**»[١].

يا أيها البخيل لا تبخل على نفسك بالدعاء، وادعُ الله ﷻ بالليل والنهار واطلب منه ما شئت من خير الدنيا والآخرة، فالله ﷻ غني وأنتَ فقير، فالله ﷻ خزائنه ملأى لا تنفد أبداً، سحَّاء بالليل والنهار يعطي الإنس والجن، يرزق الجميع، فالله ﷻ يريد منك يا عبد الله أن ترفع يديك وتقول: يا رب، اشفني فيشفيك، يا رب، ارزقني فيرزقك، يا رب أعطني الولد فيعطيك، فهو سبحانه قدير، يعطي ما شاء لمن شاء في أي وقت شاء.

عباد الله! وهناك موانع تحول بينكم وبين الإجابة، فنذكر منها أمثلة لعلنا نتذكر قبل فوات الأوان.

المانع الأول: غفلة القلب عند الدعاء: كثير من الناس يرفع يديه ويقول: يا رب، وقلبه غافل لاهٍ، وقلبه مشغول بالدنيا الفانية، وهذا لا يستجاب له؛ إذ لا بد وأنت تدعو يا عبد الله أن تجمع قلبك وعقلك وتعلم أَنك تدعو الكريم، وأنك واقف بَيْن يدي الجبار سبحانه وتعالى.

يقول ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاءً من قلبٍ غافل لاهٍ**»[٢].

المانع الثاني: أكل الحرام: كثير من الناس يصلي ويدعو ولكنه يملأ بطنه من الحرام، امتدت يده إلى الرشوة وأكل الربا، وأكل الحرام فيرفع يده ويقول: يا رب، يا رب، يقول ﷺ: «**فأنى يستجاب لذلك**»! قال ﷺ: «**إن الله تعالى طيّب لا يقبل إلا طيباً ـ إلى أن ذكر ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام،**

---

(١) **حسن**: ت: (٢١٣٩)، بز: (٦/ ٥٠١)، [«ص.ج» (٧٦٨٧)].

(٢) **حسن**: ت: (٣٤٧٩)، ك: (١/ ٦٧٠)، [«ص.ج» (٢٤٥)].

ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»(١).

فاتقوا الله في بطونكم، واتقوا الله في أجسادكم، فأيما جسد نبت من سُحت فالنار أولى به.

المانع الثالث: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الإنسان إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم دعا لم يُسْتَجب له.

وإذا تركنا كأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعونا الله ﷻ أن ينصرنا على أعدائنا، وإن يسقينا الغيث لم يُستجب لنا، وإن سقانا سقانا من أجل البهائم، «**ولولا البهائم لم يمطروا**»(٢).

يقول ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»(٣).

فيا عبد الله إذا أردت الإجابة فعليك بالدعاء، وعليك بالابتعاد عن هذه الآفات؛ لأن الله ﷻ طيب لا يقبل إلا طيباً.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن يتقبل صيامنا وقيامنا وأن يوفقنا لطاعته في رمضان وبعد رمضان

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: م: (١٠١٥).

(٢) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، ك: (٤/ ٥٨٢)، طس: (٥/ ٦١)، هب: (٣/ ١٩٦)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].

(٣) **حسن**: ت: (٢١٦٩)، حم: (٥/ ٣٩١)، [«ص.ج» (٧٠٧٠)].



الوصية الثالثة والعشرون:
«كل أمتي يدخلون الجنة إلاَّ من أبىٰ»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثالثة والعشرين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: **من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ**»[1].

وصية عظيمة من رسول عظيم بيَّن فيها أَن من أطاع الله ورسوله دخل الجنة، ومن عصى الله ورسوله دخل النار، ولا يظلم ربك أحداً. والله عز وجل في كتابه أخبرنا بذلك: بأن من أطاعه وأطاع رسوله دخل الجنة، ومن عصاه وعصى رسوله دخل النار، ليهلِك من هلك عن بيِّنه ويحيا من حي عن بينة.

يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن الطاعة، وعن المعصية في هذا اليوم بالذات أمران اثنان:

الأمر الأول: أن هناك فريقاً من الناس ـ وقليل ما هم ـ استقاموا على طاعة الله ورسوله في رمضان، ويريدون أن يستقيموا على طاعة الله ورسوله بعد رمضان، ونسأل الله أن نكون وإياكم من هؤلاء، فأردت أن أُبيِّن لهؤلاء وأُذكرهم ببعض الأعمال الصالحة التي أخبر المصطفى ﷺ أن من عملها بعد رمضان دخل الجنة.

أما الأمر الثاني: فهو أن فريقاً من الناس ـ وكثير ما هم ـ إذا انتهى رمضان انتكسوا على أُمِّ رءوسهم وعادوا إلى المعاصي مرة ثانيةً، وبارزوا الله بالمعاصي، وحاربوا الله ورسوله بالليل والنهار وودَّعوا المساجد، والصيام، والصلاة، فأردت أن أحذر هؤلاء من الرجوع إلى المعاصي مرة ثانية، والذكرى تنفع المؤمنين.

نقول للفريق الأول: ـ الذين أطاعوا الله ورسوله في رمضان ويريدون أن يستقيموا على الطاعة بعد رمضان ـ نذكِّر هؤلاء ببعض الأعمال الصالحة التي هي سبب لدخول الجنة التي قال فيها الرسول ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**».

يقول ﷺ: «**إن في الجنة غرفاً يُرَىٰ ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلَّى بالليل والناس نيام**»[(١)].

عباد الله! إن في الجنة من النعيم «**ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[(٢)].

ومن هذا النعيم: غرف يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من

---

(١) **حسن**: حم: (٥/ ٣٤٣)، حب: (٥٠٩)، طب: (٣/ ٣٠١)، هب: (٣/ ٤٠٤)، [«ص.ج» (٢١٢٣)].

(٢) **صحيح**: خ: (٣٠٧٢)، م: (٢٨٢٤).

ظاهرها، إنه منظر جميل لا يرى إلا في الجنة، وهذه الغرف أعدها الله ﷻ لمن آمن وعمل صالحاً.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [العنكبوت: ٥٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٧].

هذه الغرف لمن آمن وعمل صالحاً، وصبر على إيمانه وعلى الأعمال الصالحة في رمضان وبعد رمضان، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان: ٧٥].

• ومن الأعمال الصالحة التي ذكَّرنا بها رسول الله ﷺ والتي هي سبب لدخول الجنة إلانة الكلام.

والكلام اللين: هو الكلام الطيب، والمؤمن لا يخرج منه إلا الطيب، والله ﷻ طيب لا يقبل إلا طيباً.

والكلام الطيب سبب لدخول الجنة.

يقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج: ٢٣، ٢٤].

• **الكلام الطيب صدقة:**

فإذا عجزت يا عبد الله عن التصدق بالمال فلا تعجز عن الكلام الطيب، يقول ﷺ: «**الكلمة الطيبة صدقة**»(١).

(١) **صحيح**: خ: (٢٨٢٧)، م: (١٠٠٩).

والكلمة الطيبة صدقة أفضل من الصدقة التي يتبعها الأذى، فإذا جاءك سائل ولم يكن معك ما تعطيه فاصرفه بالكلمة الطيبة، يقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣]. اصرفه بكلمة طيبة خير لك عند الله من أن تعطيه مالاً بذلٍ وإهانة.

- **الكلمة الطيبة في الدعوة إلى الله سبب لكل خير وسبب لنجاح الداعية.**

فكثير من الدعاة نجحوا في دعوتهم بالكلمة الطيبة، ولذلك أمر الله نبيّه موسى وهارون عندما أرسلهما إلى فرعون أن يقولا له قولاً ليناً، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]، فيا معشر الدعاة، عليكم بالكلمة الطيبة لتنجحوا في دعوتكم.

- **الكلمة الطيبة تنجيك من عذاب النار:**

يقول ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار، ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة**»(١).

من أجل ذلك أمر الله ﷻ عباده المؤمنين أن يتكلموا دائماً بالكلام الطيب، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣].

بالله عليكم، كم من رجل طلق امرأته بسبب كلمة بذيئة؟ كم من رجل عقَّ والديه بسبب كلمة نابية؟ فالكلام السيء سبب لكل شر، والكلام الطيب سبب لكل خير، والعاقل الذي أراد الجنة، وأراد أن يسكن في هذه الغرف في الجنات فعليه بلين الكلام؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «**أعدها الله لمن ألان الكلام**».

---

(١) **صحيح**: خ: (٧٠٧٤)، م: (١٠١٦).

الخصلة الثانية ـ وأطعم الطعام:

وهذا عامٌّ في رمضان وبعد رمضان، بالليل والنهار، سراً وعلانية، للأغنياء والفقراء، إطعام الطعام مهما كان حتى ولو كان للكلاب تدخل بسببه الجنة.

- فهذهِ امرأة بغي سقت كلباً عطشانَ فغفر الله لها(١).
- وهذهِ امرأة مسلمة حبست هرة لم تطعمها فأدخلها الله النار(٢).
- ***عباد الله!*** إن إطعام الطعام سبب لسكنى الجنة.

يخبر الله ـ عز وجل ـ عن أهل الجنة أَنهم كانوا يطعمون الطعام.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٢].

ويقول ﷺ مبيِّناً أن إطعام الطعام سبب لدخول الجنة: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام** ـ أي: على من عرفتم وعلى من لم تعرفوا ـ **وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»(٣). وبيَّن لنا ربنا ـ جل وعلا ـ أن البخل بإطعام الطعام سببٌ لسكنى النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٤]، وبيَّن لنا الرسول ﷺ فقال: «**دخلت امرأةٌ النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»(٤).

---

(١) **صحيح**: م: (٢٢٤٥).
(٢) **صحيح**: خ: (٣٢٩٥)، م: (٢٢٤٢).
(٣) **صحيح**: هـ: (٣٢٥١)، حم: (٥/ ٤٥١)، مي: (١٤٦٠)، ك: (٣/ ١٤)، طس: (٥/ ٣١٣)، [«ص. هـ» (٧٨٦٥)].
(٤) **صحيح**: خ: (٣١٤٠)، م: (٢٢٤٢).

الخصلة الثالثة ـ وتابع الصيام:

وهو صيام التطوع المشروع واعلم يا عبد الله أنه ليس فرضاً عليك كما فرض رمضان إنما هو تطوع منك لتفوز بهذه الغرف التي يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها.

- ومن الأيام التي بيّنها لنا الرسول ﷺ وشُرع لنا صيامها بعد رمضان:

- ستة أيام من شوال.

يقول ﷺ: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر**»(١)، فلا تبخل على نفسك يا عبد الله، وصيام هذه الأيام يجوز متتالياً بعد يوم العيد، ويجوز مفرقاً خلال شهر شوال إلا أن تصوم الجمعة منفرداً لقوله ﷺ: «**لا تصوموا يوم الجمعة مفرداً**»(٢)، فإن صمت يوماً قبله جاز، وأما صيام السبت فلا يجوز للمسلم أن يصومه إلا في الفريضة لقوله ﷺ: «**لا تصوموا يوم السبت إلا في فريضة...**»(٣).

- صيام الاثنين والخميس من كل أسبوع، فلقد صامهما الرسول ﷺ، ولما سُئل عن ذلك قال: «**إن أعمال العباد تعرض يوم الاثنين والخميس**»(٤).

- صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

- صيام يوم عاشوراء وتاسوعاء.

---

(١) **صحيح**: م: (١١٦٤).

(٢) **صحيح**: حم: (١/ ٢٨٨)، ك: (٣/ ٧٠٤)، طب: (٢/ ٢٨١)، [«س.ص» (٩٨١)].

(٣) **صحيح**: د: (٢٤٢١)، ت: (٧٤٤)، هـ: (١٧٢٦)، خز: (٢١٦٣)، حب: (٣٦١٥)، ك: (١/ ٦٠١)، [«ص.ج» (٧٣٥٨)].

(٤) **صحيح**: د: (٢٤٣٦)، [«ص.ج» (١٥٧٠)].

• صيام يوم عرفة، والأيام العشر من ذي الحجة إلى غير ذلك من الأيام التي شرعها لنا الرسول ﷺ[(١)].

فلا تحرم نفسك أن تصوم يوماً تطوعاً لله، فالعمر يمر سريعاً فإن مرَّ عليك يومٌ وقد صمته فاحمد الله عليه، أما إذا مرت الأيام والليالي ولم تصم، ولم تقم بالليل تصلي فإنك ستندم عند فراق هذه الدنيا.

الخصلة الرابعة: وقد سبق أن تكلمنا عنها وهي: «**وصلَّى بالليل والناس نيام**».

• ***عباد الله!*** الصلاة بالليل سبب لدخول الجنة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٨].

ويقول ﷺ: «**نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يصلِّي من الليل**»[(٢)] وقال ﷺ: «**لا تكن كفلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل**»[(٣)]. فمن وفق في رمضان لقيام رمضان فلا يحرم نفسه بعد رمضان أن يقوم بالليل في بيته، أو أن يقوم بأهله فيصلي بهم ركعتين في جوف الليل فيكتب بذلك عند الله من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

عباد الله! كل هذه أعمال صالحة نزفها للذين يريدون أن يستقيموا بعد رمضان إن حافظوا عليها فازوا بهذه الجنة.

ثم نقول للفريق الثاني: الذين يريدون أن ينتكسوا إلى المعاصي بعد رمضان، ونحذرهم ونذكرهم فنقول: يا من تريدون أن تعودوا بعد رمضان إلى معصية الله اعلموا:

---

(١) انظر كتاب «الوجيز» (ص٢٠٠، ٢٠١) للشيخ عبد العظيم بدوي حفظه الله.
(٢) **صحيح**: خ: (١٠٧٠)، م: (٢٤٧٩).
(٣) **صحيح**: خ: (١١٠١)، م: (١١٥٩).

أولاً: أن العمر قليل وأن الأيام تمر بسرعة، وأن الموت يأتي بغتة، فبالأمس القريب استقبلنا رمضان وها نحن اليوم ربما نودع رمضان، وهكذا تمر الأيام:

نسير إلى الآجال في كلِّ لحظةٍ ... وأيامُنا تُطوى وهنَ مراحلُ
ولم أرَ مثل الموتِ حقاً كأنه ... إذا ما تخطتْه الأماني باطلُ
وما أقبح التفريطَ في زمن الصبا ... فكيفَ بهِ والشيبُ للرأس شاعلُ
ترحلْ من الدنيا بزادٍ من التقى ... فعمرُك أيامٌ وهنَّ قلائل

قال الله ـ ﷻ ـ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: ٨].

وهناك ستندم أيها العاصي في وقت لا ينفع فيه الندم.

ثانياً: اعلموا أن المعاصي سبب لحياة الضنك في الدنيا وفي الآخرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

ثالثاً: نقول للعصاة الذين يصرون على المعاصي بعد رمضان.

اعلموا أن المعاصي شؤم على صاحبها، وشؤم على المجتمع الذي تعيشون فيه، فالعاصي شؤم على بيته، شؤم على أولاده، شؤم على مجتمعه، شؤم على أمته يقول ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(١).

رابعاً: اعلم أيها العاصي أن المعاصي سببٌ لانتشار الأمراض الخبيثة.

أيها العاصي إذا أصبت بمرض خبيث عضال لا شفاء منه فلا تلومن إلا نفسك، يقول ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا..**»(٢).

---

(١) **صحيح**: ك: (٢/٤٣)، طب: (١/١٧٨)، [«ص.ج» (٦٧٩)].

(٢) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، ك: (٤/٥٨٢)، هب: (٧/٣٥١)، طس: (٥/٦١)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].

فإذا ابتليت بالإيدز، أو السرطان، أو بمرض خبيث بسبب معاصيك فلا تلومن إلا نفسك.

ونقول لهؤلاء: العاقل من اتعظ بغيره، فتعال يا من تريد أن تعود إلى المعاصي مرة ثانية واعتبر بمن قبلك، اعتبر بهذا العاصي وهو يندم عند الموت لتفريطه في جنب الله. قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ ـ لِـمَ ـ ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ فيقال له: ﴿كَلَّآۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

فالآن عد إلى الله، الآن تب، من الآن استمر على الطاعة بعد رمضان. وإياك والانتكاس فالموت يأتي بغتة.

● واستمع إلى هذا العاصي في أرض المحشر يوم القيامة وقد ظلم نفسه بالمعاصي وفرّط في جنب الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

قرين السوء ـ الصاحب السيء ينتظرك، قرين السوء بعد رمضان ينتظرك لتدخن معه فتعصي الله معه، ذئب بشري يأخذك إلى المعاصي فاحذر منه واعتبر بهذا الذي يندم ويعض على أصابعه من الندم.

● واستمع إلى العصاة في النار لتعتبر يا عبد الله حتى لا تعود إلى المعاصي فتكون من هؤلاء، يقول الله ـ عز وجل ـ في وصف أهل النار: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧].

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه..

❊ ❊ ❊



الوصية الرابعة والعشرون:
(أ) «ثلاث مهلكات...»

عباد الله! الإيمان بالرسل الكرام ركن من أركان العقيدة الصحيحة، والإيمان برسولنا ﷺ يستلزم منا معشر المسلمين أن نقبل وصاياه، وأن نعمل بها وأن نعض عليها بالنواجذ.

ولذلك فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الرابعة والعشرين:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفَّارات، وثلاث درجاتٌ، فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى مُتَّبع، وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية، وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات. وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام**»[(١)].

أمة الإسلام! وصية واللهِ عظيمة من رسول عظيم يبيّن فيها لأمته ما يهلكها، وما ينجيها، وما يكفر خطاياها، وما يرفع درجاتها، لمن أراد أن يذَّكَّرَ أو أراد شكوراً، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة. ولذلك قررنا ـ إن شاء الله

---

(١) **حسن**: طس: (٦/ ٤٧)، [«ص.ج» (٣٠٤٥)].

تعالى ـ أن نعيش مع هذه الوصية شهراً كاملاً لنتكلم أولاً عن المهلكات، ثم نتكلم ثانياً عن المنجيات، ثم نتكلم ثالثاً عن الكفارات، ثم نتكلم رابعاً عن الدرجات.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ فقط مع الحديث عن المهلكات.

فاسمعوا وعوا عباد الله لتنجوا من هذه المهلكات، فرسولنا الكريم ﷺ يخبرنا أنها تهلك: «**ثلاث مهلكات**»، ما هي يا رسول الله؟ فيقول: «**فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**» أمراضٌ خطيرة إذا أصيب بها الإنسان هلك: «**الشح، الهوى، العُجب**».

فاسمع يا ابن آدم! هل أصبت بأحد هذه الأمراض؟ فإن كان الجواب: نعم فالفرصة أمامك الآن في الدنيا لتستعتب، ولتطهر نفسك من هذه الأمراض، وإن كنت لم تُصَبْ بها بعد فاحمد الله وكن منها على حذر.

المرض الأول ـ «شح مطاع»:

● الشح: هو أعلى درجات البخل، وهو مرض خطير قد أصاب كثيراً من الناس فأهلكهم، فرسولنا ﷺ يخبرنا أن الشح يهلك صاحبه، فقال ـ في الوصية التي معنا ـ: ثلاث من المهلكات فعد منها «شح مطاع»، وقال في حديث آخر: «**اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**»[(١)].

● الشح شر على صاحبه في الدنيا والآخرة، يقول ﷺ: «**شَر ما في الرجل شُحٌّ هالع، وجبنٌ خالعٌ**»[(٢)]. والله ـ عز وجل ـ يخبرنا بذلك في كتابه،

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

(٢) **صحيح**: د: (٢٥١١)، حم: (٢/ ٣٠٢)، حب: (٣٢٥٠)، ش: (٥/ ٣٣٢)، هب: (٧/ ٤٢٤)، [«ص.ج» (٣٧٠٩)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠].

• ومن شر الشح على صاحبه في الدنيا أنه سبب لزوال النعم، فإذا بخل الإنسان وابتلي بمرض الشح والبخل فَحَرَمَ الفقراء والمساكين من ماله عاقبه الله فحرمه هذا المال في الدنيا، والعاقل من اتعظ بغيره.

• هؤلاء أصحاب الجنة كانوا يعرفون حق الفقراء والمساكين في بستانهم، فاجتمعوا ذات ليلة وقرروا وعزموا أن يحرموا الفقراء والمساكين من بستانهم، فعاقبهم الله ﷻ على هذا البخل وعلى هذا الشح بأن حرمهم جنتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ ـ العقاب ـ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: ١٧ ـ ٢٠].

عباد الله! العاقل من اتعظ بغيره، فهؤلاء شحوا وبخلوا فحرمهم الله المال، وصاحب المصنع، وصاحب المال، وصاحب العقارات، وصاحب الأغنام والأبقار وصاحب السيارات، ومهما ملكت يا ابن آدم اعلم أنك إذا بخلت بحق الفقراء من هذا المال اعلم أَنك معرض ـ أنت والمال ـ للهلاك في أي لحظة، واعتبر بأصحاب الجنة.

• أما شر الشح على صاحبه في الآخرة فهو سبب لعذابه في النار. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

• وأيضاً فإن الشح ينافي الإيمان فإيمان وشح في قلب الرجل لا يجتمعان أبداً، يقول ﷺ: «**لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد**

أبداً»[١]. إذا وجد الإيمان وجد الكرم ووجد الإنفاق، وكلما زاد الإيمان في القلب كلما قال الإنسان بماله هكذا في مرضاة الله، وكلما قل الإيمان زاد الشح والبخل. وانظر إلى الذي منع الزكاة ولم ينفق في سبيل الله وستراه لا يعرف أبواب المساجد، وستراه إن كان يصلي لا يعرف قيمة الصلاة.

فالشح خطير إن وُجِدَ ضَعُفَ الإيمانُ، وإذا غاب زاد الإيمان، إنه مرض خطير منع الكثير من الناس من إخراج زكاة أموالهم، ومنع الكثير من الناس من النفقة في سبيل الله.

والعلاج: أن تطهر نفسك من هذا المرض، وتزكيها فقد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها، ومن نقَّى نفسه من الشح نال فلاح الدنيا والآخرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦] فكونوا من الشح على حذر.

المرض الثاني ـ «وهوى متَّبع»:

الهوى: مرض خطير يهلك صاحبه يا عباد الله أتدرون لم؟ لأن الهوى يمنع صاحبه من الاستجابة لله ولرسوله ﷺ. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، عباد الله! هناك من يستمع لهذا النداء، وهناك من لا يستجيب لهذا النداء، أتدرون ما السبب؟ إنه الهوى، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

- كثير من الناس سمع آلاف المرات، وقرأ في كتاب الله وفي سنّة

(١) **صحيح**: ن: (٣١١٠)، حم: (٢/٤٤١)، حب: (٣٢٥١)، خد: (٢٨١)، هب: (٢٦/٤)، ش: (٢٢١/٤)، [«ص.ج» (٧٦١٦)].

رسول الله أن الربا حرام وحتى هذه اللحظة لم يستجب، السبب: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾.

• ومن النساء من تصلي وتعلم علم اليقين أن التبرج حرام، وأن الله حرّم التبرج، وأن الله أمرها بالحجاب! ولكنها وحتى هذه اللحظة تخرج إلى الشارع متبرجة، السبب: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾.

والإنسان يا عباد الله إذا استجاب لهواه، ـ إذا أمره ائتمر وإذا نهاه انتهى ـ فقد اتخذ هواه إلهاً من دون الله، وكثير من الناس من يعبدون أهواءهم، والله ﷻ أخبرنا عن هؤلاء. فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣]، فالهوى إله يعبد عند كثير من الناس:

فالذي يدخن قل له: الدخان حرام، يقول لك: نعم، قل له: لم تدخن؟ لسان حاله يُجيب: الهوى.

الذي يحلق لحيته قل له: أما تعلم أن الرسول ﷺ أمر بإعفاء اللحية، فحلقها حرام؟ يقول لك: نعم، قل له: لم تحلقها؟ الجواب: ﴿أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾، وقس على ذلك جميع المعاصي وبالمثال يتضح البيان.

• الظالم يعلم أن الظلم حرام، ومع ذلك يظلم لِمَ؟ اتبع هواه، قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم: ٢٩].

• الرجل يتزوج بأكثرَ من امرأة فيميل إلى إحداهن دون الأخرى، والذي دفعه لذلك الهوى.

• الرجل يعطي أحد أولاده، ويحرم الآخر وهذا من الجوْر في

الوصية، ما الذي دفعه لذلك؟ الهوى، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [النساء: ١٣٥].

إذا اتبعتم الهوى جُرْتم، وإذا خالفتم الهوى عدلتم.

الذين يُحَكِّمُون القوانين الوضعية، ويتركون حكم الله في كل بلاد المسلمين السبب: أنهم اتبعوا أهواءهم، واتبعوا أهواء الناس، فحكّموا القوانين الوضعية وتركوا حكم الله.

ولذلك يقول ربنا ـ جل وعلا ـ لرسوله ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية: ١٨]، إياك إياك أن تتبع أهواء الذين لا يعلمون.

• فإلى الذين يظنون أن القوانين الوضعية خير من حكم الله. نقول لهم قال الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩]، وأن احكم بينهم بأي شيء! بما أنزل الله في كتابه وفي سنّة نبيّه ولا تتبع أهواءهم، ويقول الله ـ ﷻ ـ في كتابه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦]، فالهوى مضلٌ لصاحبه يا عبادَ الله.

• وهناك من اعوجوا في دعوتهم من الجماعات الإسلامية حين سلكوا طريقاً أعوج في الدعوة إلى الله ما أنزل الله به من سلطان أتدرون ما هو السبب؟ اتبعوا أهواءهم واتبعوا أهواء الناس، وإذا طلب الناس منهم طلباً استجابوا لهم.

والله ـ ﷻ ـ يقول لرسوله ﷺ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ﴾ [الشورى: ١٥]، إذا اتبع الدعاة أهواء الناس ضلوا وأضلوا ولذلك فإن الكثير ممن يدعون إلى الإسلام يدعون إلى الضلال المبين، ويظنون أنهم يحسنون صنعاً، وإذا قلت لهم: هذا لا يجوز، وهذا غير الذي فعله أصحاب المصطفى ﷺ تجد عندهم مبررات... وما هي إلا الأهواء.

فيا إخوة الإسلام: الهوى مهلك، والعلاج: أن تخالف الهوى، وأن تنهى نفسك عن الهوى، ولذلك قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٤١].

عباد الله! يقول ﷺ: «**ثلاث مهلكات: فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**».

فالمرض الثالث ـ «وإعجاب المرء بنفسه»:

العُجب: مرض خطير جداً قد يصاب به العالِم بسبب علمه، إذا لم يكن هذا العالم على تقوى من الله، وقد يعجب الغني بغناه، وقد يعجب صاحب التجارات بتجارته، وقد يعجب المرء أحياناً بعشيرته، فتراه يتصدر المجالس ويُظهر للناس أنه من عشيرة كذا، وكأنه يرى أنه يرتفع على الناس بعشيرته أو بماله أو بمنصبه، أو بعلمه.

العجب يهلك صاحبه؛ فالمعجب بنفسه ترى دائماً حاله يقول: أنا خير منه. وهذه (أنا خير منه) مهلكة، والعاقل من اتعظ بغيره.

● فهذا إبليس نظر إلى نفسه وقد خلق من النار، ونظر إلى آدم فوجده خلق من طين: فلما أُمر بالسجود لآدم ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، وكثير من الناس الآن يجلس في المجالس فتراه يقول: أنا فلان، ولا يقول: أنا خير منك، ولكن عندما يقول: أنا فلان أما تعرفني فهو إما أن يعرِّف نفسه بمنصبه، وإما أن يعرِّف نفسه بعشيرته، وإما أن يعرِّف نفسه بعلمه. المهم أنه هالك لأنه يرى نفسه أفضل من الجالسين، فلقد قالها إبليس من قبل فهل هلك؟ الجواب: «**نعم**».

قال ـ تعالى ـ لإبليس: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص: ٧٧، ٧٨]. انظروا عباد الله: هلك بسبب إعجابه بنفسه فأُخرجَ من الجنة إلى النار أبد الآباد مطروداً من رحمة الله ملعوناً إلى يوم القيامة.

• مثال آخر:

صاحب الجنتين في سورة الكهف: اغتر ببستانه، اغتر بما عنده من ملك، كما نرى اليوم صاحب الأموال تراه ينظر إلى مصانعه، أو إلى أراضيه أو إلى سياراته أو إلى قصره، وكأنه يمشي على الأرض وما عليها إلا هو، نقول له: يا ابن آدم ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]. أنت فقير وضعيف، والله ﷻ قادر على أن يحرق مصنعك وسيارتك في ساعة واحدة، فاعتبر أيها المغرور بصاحب الجنتين الذي عندما رأى ما فيها قال لصاحبه الفقير وهو يحاوره: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، فلما اغتر ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾، النتيجة التي تهمُنا هل هلك بهذا الغرور؟ «نعم»، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٣٤، ٣٦، ٤٢]. هل ينفع الندم؟ لا ينفع، لماذا هلك؟ لأنه قال للفقير: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

من الذي أعطاك المال؟ الله، من الذي يأخذه منك؟ الله، يعز من يشاء ويذل من يشاء فسبحانه وتعالى.

• مثال ثالث:

• قارون ملك مالاً كثيراً، فاغترَّ بماله وأعجب بنفسه، فقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]، كما يقول الأغنياء اليوم هذه الأموال التي معنا إنما هي بسفرنا وبتجارتنا وجهدنا لا دخل لله فيها فلم نصلّي؟ الذي يصلّي هو الفقير لأنه في حاجة إلى الله، أما نحن معشر الأغنياء فحالنا يقول لِمَ نصلّي؟! ونحن عندنا هذه الأموال التي لو أنفقنا منها الدهور الطويلة ما انتهت! نقول لأولئك: هذا قارون امتلك مالاً أكثر من ميزانية أكثر الدول اليوم، فاغتر بماله فقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾، فانظروا إلى النتيجة ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]، فقارون يتجلجل في الأرض من يوم أن خسف الله به وبداره إلى يوم القيامة.

إنه العُجْب! ابن آدم إياك والعُجْبَ، رسولنا ﷺ يقول: «**ثلاث مهلكات منها إعجاب المرء بنفسه**»، وإياك يا طالب العلم أن تُعْجَبَ بعلمك، إياك أن ترى نفسك شيئاً عظيماً بما عندك من علم، فالذي وفقك للعلم هو الله، وهو سبحانه قادرٌ على أن يبتليك بمرض فتنسى ما عندك من علم، وأنت يا صاحب المال إياك أن تغتر بالمال، فالذي أعطاك المال هو الله، وهو سبحانه قادر على أن يأخذه منك أو يأخذك منه.

فاتقوا الله عباد الله في أنفسكم وطهروها مِنْ هذه الأمراض، وأظن أن هذه الأمراض ابتلي بها الكثير من الناس، «**شح مطاع، هوى متبع، إعجاب المرء بنفسه**».

اللّهم نجنا من هذه الأمراض واحفظنا منها



٩٠

الوصية الرابعة والعشرون (ب):
«... وثلاثٌ منجيات»

عباد الله! في الجمعة الماضية بدأنا الحديث عن الوصية الرابعة والعشرين من وصايا المصطفى ﷺ فتكلمنا عن المهلكات التي قال عنها ﷺ: «**فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**».

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المنجيات.

يقول ﷺ: «**وثلاث منجيات، ثم قال ﷺ: فأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية**»(١) وبسبب المطر الغزير، والبرد الشديد قررنا أن نتكلم عن اثنتين منهم ونؤجل الأخرى إلى الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

عباد الله! **أولىٰ المنجيات.**

يقول ﷺ: «**العدل في الغضب والرضى**».

عباد الله! من أراد أن ينجو من عذاب الله في الدنيا والآخرة فعليه أن يعدل في كل شيء في حالة الغضب وفي حالة الرضى. فالله ـ عز وجل ـ أمرنا بالعدل في كل شيء، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨]،

---

(١) **حسن**: [«ص.ج» (٣٠٤٥)] وقد تقدم تخريجه.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، فأمرنا الله ـ عز وجل ـ بالعدل في كل شيء، وجاء الإسلام ينهى عن الظلم في كل شيء، ويحذر من الظلم في كل شيء.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩].

والرسول ﷺ يقول: «**إياكم والظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»(١)، فجاء الإسلام يأمر بالعدل في كل شيء، وجاء الإسلام ينهى عن الظلم في كل شيء.

عباد الله! يغلبُ على الإنسان منا الجورُ والظلم عند الغضب والرضى، وبالمثال يتضح البيان:

المثال الأول:

- هذا رجل عنده أولاد فرضي عن أحد أبنائه فأعطاه عطاءً، وخصَّه بشيء من الميراث دون الآخرين، فماذا فعل هذا الوالد في حال الرضى؟ جار في وصيته وظلم.
- رجل آخر عنده أولاد فغضب على أحد أبنائه فحرمه من الميراث وأعطى الآخرين فدفعه الغضب إلى أن جارَ وظلم.

---

(١) **صحيح**: حم: (٢/ ١٠٥)، مي: (٢٥١٦)، طب: (٢٠/ ٢٥)، طس: (٦/ ٣٤٧)، ش: (٧/ ١٩٢)، هب: (٦/ ٤٧)، [«الموسوعة الحديثية»].

فيا عباد الله! الجور والظلم في حالة الغضب والرضى حرام في الإسلام، والدليل على ذلك: عن النعمان بن بشير أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا غلاماً فقال: «**أكل ولدك نحلت مثله**»، قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**فارجعه**»[1]؛ أي: ارجع العطاء مرة ثانية. وفي رواية أخرى: قال ﷺ للرجل: «**أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟**»، قال: لا، قال: «**فاتقوا الله واعدلوا في أولادكم**». قال: فرجع ـ أي: الرجل ـ فرد عطيته[2]. وفي رواية ثالثة: قال له ﷺ: «**ألك ولد سوىٰ هذا؟ قال: نعم يا رسول الله، قال أكلهم وهبت لهم مثل هذا؟** قال: لا يا رسول الله، فقال ﷺ: «**فلا تشهدني إذاً فإني لا أشهد على جور**»[3].

عباد الله! كم منا من منع أحد أولاده بسبب الغضب أو أعطى أحدهم بسبب الرضى؟! أعطى هذا وحرم هذا، أظن أن كثيراً منا قد فعل ذلك ـ إلَّا مَنْ رحم ربي ـ ولعل ممن يسمعنا الآن يعلم أنه قد وقع في هذا فنقول له: ارجع عما فعلت كما رجع الصحابي عما فعل، طاعة لله ولرسوله، واعلم أن النجاة في العدل في الغضب والرضى.

عباد الله! اتقوا الله واعدلوا في أولادكم، وهذا مثال آخر:

هذا رجل تزوج بامرأتين فرضي عن واحدة، وغضب على الأخرى فمال إلى الأولى وأعطاها وحرم الثانية، فبسبب الرضى والغضب جار في القسمة بين نسائه وهذا حرام في الإسلام، يقول ﷺ: «**من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى جاء يوم القيامة وشقه مائل**»[4]. فمن أراد النجاة فعليه بالعدل في الغضب والرضى.

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٤٤٦)، م: (١٦٢٣).

(٢) **صحيح**: خ: (٢٤٤٧).

(٣) **صحيح**: خ: (٢٥٠٧)، م: (١٦٢٣).

(٤) **صحيح**: د: (٢١٣٣)، ن: (٣٩٤٢)، هـ: (١٩٦٩)، مي: (٢٢٠٦)، هب: (٦/ ٤١٣)، [«ص.ج» (٦٥١٥)].

ولذلك جاء الإسلام ينهى القاضي أن يقضي بين اثنين وهو غضبان، فقال ﷺ: «**لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان**»[(١)].

أتدرون لم؟ خشية أن يجور في حكمه وقال ﷺ: «**لا يقضين أحد في قضاءٍ بقضاءين، ولا يقضين أحد بين خصمين وهو غضبان**»[(٢)].

فإياك والجور، وإذا أردت النجاة فعليك بالعدل في حالة الغضب والرضى، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

عباد الله! أما ثاني المنجيات فيقول ﷺ: «**القصد في الفقر والغنى**»، إذا أردتم النجاة من عذاب الله في الدنيا والآخرة فعليكم بالقصد في الفقر والغنى.

فالشح والبخل كما قلنا في الجمعة الماضية أهلكا صاحبيهما، وكذلك الإسراف والتبذير والترف يهلك صاحبه.

عباد الله! اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أمرنا بالإنفاق، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم﴾ [المنافقون: ١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

• وفي الوقت الذي أمرنا الله فيه بالإنفاق حذرنا من الإسراف والتبذير فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]؛ وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

• في الوقت الذي أمرنا الله فيه بالإنفاق، وحذرنا من الإسراف والتبذير والترف، حذرنا من البخل.

---

(١) **صحيح**: هـ: (٢٣١٦)، حم: (٥/ ٣٧)، حب: (٥٠٦٣)، فع: (١٣٢٧)، قط: (٤/ ٢٠٥)، طص: (٢/ ٣٣)، [«ص.هـ» (١٨٧٤)].

(٢) **صحيح**: ن: (٥٤٢١)، [«ص.ج» (٧٧٥٦)].

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦۚ﴾ [محمد: ٣٨].

• وقد جمع الله ﷻ بين التحذير من البخل والتحذير من الإسراف في آية واحدة. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ ـ نَهْيٌ عن الشح والبخل ـ ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ نَهْيٌ عن الإسراف والتبذير والترف ـ ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

النجاة يا عباد الله في القصد في الفقر والغنى، ولذلك وصف ربنا ـ جل وعلا ـ عباده (عباد الرحمن) بأنهم إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. . . . إلى أن قال ربنا ـ ﷻ ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

فمن أراد النجاة فعليه بالقصد في الفقر والغنى، وبعد ما تبيّن لنا يا عباد الله! أن الشح والبخل سبب للهلاك كما قلنا في الجمعة الماضية، فاعلموا كذلك أن الإسراف والتبذير والترف في الدنيا سبب للهلاك في الدنيا والآخرة.

الله ـ ﷻ ـ قال: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦] هذا في الدنيا.

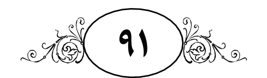
• أما الهلاك في الآخرة فهو دخول النار، قال ـ تعالى ـ واصفاً لأهل النار: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٥]؛ أي: في الدنيا، فإياكم والترف يا عباد الله.

عباد الله! إذا رأينا المترفين الأغنياء الذين لا دين لهم يفسدون في الأرض ويملئون الأرض فساداً بأموالهم فهذا مبشر يبشر بالشر، فليتق الله كل منا في ماله، ولنقتصد في الفقر والغنى، فالنجاة يا عباد الله في العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن يرزقنا العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى





الوصية الرابعة والعشرون (حـ):
«... وثلاث منجيات...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن الوصية الرابعة والعشرين من وصايا المصطفى ﷺ، وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن المنجيات التي قال فيها ﷺ: «**وثلاث منجيات**»، ثم قال ﷺ: فأما المنجيات: «**العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية**»(١).

وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن العدل في الغضب والرضى، وعن القصد في الفقر والغنى.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع ثالث المنجيات وهو «**خشية الله في السر والعلانية**».

عباد الله! خشية الله ـ تعالى ـ في السر والعلانية تنجي صاحبها من عذاب الله في الدنيا والآخرة.

وخشية الله ـ تعالى ـ هي: الخوف من الله ﷻ، ويكون ذلك بالعلم، فكلما ازداد الإنسان علماً ازداد لله خشية.

- والله ـ ﷻ ـ في كتابه أخبرنا أن خشية الله من صفات الملائكة.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨].

---

(١) **حسن**: [«ص.ج» (٣٠٤٥)] وقد تقدم تخريجه.

وقال ـ تعالى ـ في موضع آخر يصف الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار ولا يفترون، ويقول ﷺ فيهم: «**أطَّت السماء ويحق لها أن تئِطَّ، والذي نفس محمد بيده، ما فيها موضع شبرٍ إلا وفيه جبهةُ ملك ساجد يسبح الله بحمده**»(١)، ومع ذلك كله فهم من خشيته مشفقون، وأنت يا ابن آدم تعصي الله بالليل والنهار وتجمع إساءةً وأمناً**!**؟ ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٧].

• وأخبرنا الله ﷻ في كتابه أن خشيته سبحانه وتعالى من شيم الأنبياء ومن صفاتهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وقال تعالى في وصف النبيين: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨]، وقال ـ تعالى ـ في وصف الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

• خشية الله تعالى من شيم العلماء، كلما ازداد الإنسان علماً ازداد لله خشية.

• قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ﴾ [فاطر: ٢٨].

• خشية الله من صفات المؤمنين الصادقين، قال ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنبياء: ٤٩]، وقال

---

(١) **صحيح**: [«ص.ج» (١٠٢٠)].

ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠، ٦١].

تقول عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «**لا يا ابنة الصديق، لكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم**»(١).

قال الحسن البصري: (والله عملوا بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا ألا تقبل منهم)، ثم قال: (المؤمن جمع إحساناً وشفقة، والمنافق جمع إساءة وغرة)(٢).

● أي: المؤمن يعمل الصالحات، ويخشى ألا تقبل منه فهو على خوف شديد من الله عز وجل.

● أما المنافق: فجمع إساءةً؛ أي: معاصي، وأمناً؛ أي: أنه أمن مكر الله ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

عباد الله! الله ـ عز وجل ـ في كتابه أوجب علينا خشيته في السر والعلانية، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

● وهذا رسولنا صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على خشية الله في السر والعلانية، يقول أبو ذر رضي الله عنه: (أوصاني خليلي أن أخشى الله كأني أراه فإن لم أكن أراه فإنه يراني).

ويقول ابن عمر رضي الله عنه: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي ثم قال: «**اعبد الله**

---

(١) **صحيح**: ت: (٣١٧٥)، هـ: (٤١٩٨)، حم: (٦/ ٢٠٥)، هب: (١/ ٤٧٧)، [«ص.ت» (٢٥٣٧)].

(٢) انظر سبب ذكر هذا القول للحسن البصري رحمه الله كما في: طس: (١/ ١٨١).

كأنك تراه»[١]، وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**اتق الله حيثما كنت**»[٢]، الله ـ عز وجل ـ يأمرنا بخشيته، والرسول ﷺ يربي أصحابه على خشية الله سبحانه.

أتدرون لم يا عباد الله؟

لأن الخشية تنجي صاحبها من عذاب الله في الدنيا والآخرة، فللخشية ثمار عظيمة في الدنيا والآخرة.

فمن ثمارها في الدنيا:

أولاً: البكاء من خشية الله، فالخشية إذا تمكنت في القلب أبكت العيون، فهل عرفتم لم جمدت العيون يا عباد الله؟ لأن الخشية قد غابت عن القلوب، إذا سكن الخوف قلباً عَمُرَ، وإذا فارق الخوف قلباً خَرِبَ، وانظروا إلى أهل الدنيا العصاة ترونهم مقبلين على معصية الله بالليل والنهار، أتدرون لم يا عباد الله؟ لأن الخوف من الله قد فارق قلوبهم.

الخشية تورث البكاء، فالذي يخشى الله تراه يبكي بالليل والنهار، إذا سمع القرآن بكى، وإذا وقف في صلاته بكى، وإذا تذكر القيامة بكى، وإذا تذكر الجنة والنار بكى خوفاً من الله.

• هذا صهيب الرومي لا ينام، يتقلب على فراشه كما يتقلب العصفور في المقلى تقول له زوجته: (يا صهيب ألم يجعل اللهُ عز وجل الليل سكناً؟ فيقولُ لها: نعم لكل الناس إلا لصهيب، فقالت له: ولم؟ قال: إذا تذكرت الجنة طار نومي شوقاً لها فلا أنام، وإذا تذكرت النار طار نومي خوفاً منها فلا أنام).

• وهذا عمر بن عبد العزيز: تذكر يوماً موقفاً من مواقف يوم القيامة (فبكى وهو أمير المؤمنين، فبكت فاطمة ـ زوجته ـ فبكى أهل الدار لا

---

(١) **إسناده صحيح**: حم: (٢/ ١٣٢)، حل: (٦/ ١١٥)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٢) **حسن**: حم: (٥/ ٢٣٦)، طب: (٢٠/ ١٤٥)، طس: (٤/ ١٢٥)، طص: (١/ ٣٢٠)، هب: (٦/ ٢٤٤)، [«ص.ج» (٩٧)].

يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء فلما تجلى عنهم العبر قالت له فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت قال: ذكرت يا فاطمة منصرف القوم من بين يدي الله ﷻ فريق في الجنة وفريق في السعير قال: ثم صرخ وغشى عليه)[١].

يقول: الله - ﷻ -: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨].

ويقول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» منهم: «**ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»[٢]، عيون سهرت على كتاب الله تبكي من خشية الله، أما العيون التي باتت على شاشات المفسديون، والبطون التي امتلأت بالربا فأنّىٰ تبكي من خشية الله؟ يقول ﷺ: «**حُرِّمَ على عينين أن تنالهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس الإسلام وأهله من أهل الكفر**»[٣].

الثمرة الثانية في الدنيا:

أن خشية الله تعالى تدفعك إلى طاعة الله وإلى الأعمال الصالحة، فكلما ازداد الإنسان خشية لله كلما أقبل على الأعمال الصالحة، قال - تعالى -: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

قام طوال الليل ساجداً وقائماً لله، ما الذي دفعه لذلك؟ يحذر

---

(١) حل: (٥/ ٢٦٩).

(٢) **صحيح**: خ: (١٣٥٧)، م: (١٠٣١).

(٣) **حسن**: ك: (٢/ ٩٢)، هب: (٤/ ١٦)، [«ص.ج» (٣١٣٦)].

الآخرة ويخاف من الوقوف بين يدي الله، ويرجو رحمته سبحانه، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فالعلم دفعه إلى العبادة، والعلم أورثه الخشية، والخشية دفعته إلى الطاعة، ورسولنا ﷺ يضرب مثلاً أعلى في ذلك. فيقول ﷺ: «**فوالله إني أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية**»[١]، فكان ﷺ يقوم من الليل حتى تورَّمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»[٢].

عباد الله! من ثمار الخشية المسارعة إلى الأعمال الصالحة، فهذا أبو بكر الصديق: صاحب رسول الله، ثاني اثنين إذ هما في الغار، خليفة رسول الله، أحد العشرة المبشرين بالجنة، الذي بُشر بالجنة من رسول الله، ونزل فيه قرآنٌ يتلى إلى يوم القيامة، ومع ذلك كان يبكي دائماً حتى اشتهر بين كل الناس أن أبا بكر كثير البكاء، جلس يوماً فنظر إلى طائر يطير على الشجر فقال له: (طوبى لك يا طير، والله لوددت أني كنت مثلك، تقع على الشجر، وتأكل من الثمر ثم تطير وليس عليك حساب ولا عذاب)[٣]، أبو بكر تمنى أن يكون طائراً لا حساب ولا عذاب عليه، علماً بأنه قد بشر بالجنة، ومع ذلك يخشى ويخاف من الله، ومن الوقوف بين يدي الله، ومع أنه بُشِّر بالجنة، ولكن الخشية دفعته إلى المسارعة في الأعمال الصالحة، فما سبقه أحد من الصحابة وكان دائماً سباقاً لكل خير.

• انظروا يا عباد الله، واستمعوا إلى هذا الموقف الفريد لأبي بكر رضي الله عنه والذي يدل على أنه ما ترك خيراً إلا وكان يسارع إليه.

يجلس ﷺ يوماً مع أصحابه فيسأل: «**من أصبح منكم اليوم صائماً**»؟ يقول أبو بكر: أنا ـ السؤال في نفس المجلس ـ، ثم قال ﷺ: «**فمن تبع**

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٨٧١)، م: (٢٣٥٦).
(٢) **صحيح**: خ: (٤٥٥٦)، م: (٢٨١٩).
(٣) ش: (٧/ ٩١)، هب: (١/ ٤٨٥).

منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟**» قال أبو بكر أنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئٍ إلا دخل الجنة**»[(١)].

مسارعة إلى الأعمال الصالحة: تقوم الليل، تصوم النهار، تحافظ على دروس العلم، تأمر بالمعروف تنهى عن المنكر، هذه هي ثمار الخشية.

الثمرة الثالثة في الدنيا للخشية: أنها تحول بينك وبين معصية الله.

فالذين يخافون من الله يبتعدون عن المعاصي، يقول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ـ فذكر منهم ـ: ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين**»[(٢)]. امرأة ذات منصب أي: إذا لم يفعل ما تأمره فإنها تقدر على سجنه، وجمال أي: أنها تغريه بجمالها، ومع ذلك فالرجلُ قال: إني أخاف الله، إنها الخشية.

• هذا يوسف عليه السلام في بيت امرأة العزيز، سيدته! وهي التي تأمره وكانت امرأة جميلة! غلّقت الأبواب! وهي التي قالت له: هيت لك! ومع ذلك، قال: معاذ الله، فحالت الخشية بينه وبين المعصية.

• وهؤلاء الثلاثة الذين دخلوا الغار وأُغلق عليهم الغار، فأيقنوا الهلاك. **أما الأول:** فكان قد منعته خشية الله عز وجل من عقوق الوالدين، ودفعته إلى برهما.

وأما الثاني: فكان قد منعته خشية الله عز وجل من الوقوع في الزنا، ودفعته إلى تركه بعد أن قدر عليه.

وأما الثالث: فكان قد منعته خشية الله عز وجل من أن يأكل أجر الأجير، ودفعته أن يعطي حق الأجير كاملاً.

---

(١) **صحيح**: م: (١٠٢٨).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٤٢١)، م: (١٠٣١).

فدعوا الله بأعمالهم تلك فاندفعت الصخرة عن باب الغار وأنقذهم الله من الموت المحقق[١].

أما ثمار الخشية في الآخرة فهي كثيرة جداً، منها:

أولا: المغفرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

ثانياً: تنجي صاحبها من النار، قال ﷺ: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله...**»[٢].

ثالثاً: الفوز يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥٢].

رابعاً: الجنة ورضوان الله ـ عز وجل ـ، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧، ٨].

عباد الله! خشية الله في السر والعلانية سبب لكل خير كما وصَّانا بها رسول الله ﷺ وبيَّن لنا أن المنجيات هي: «**العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية**».

وهنا سؤال مهم ألا هو: ما هي الأسباب التي يتحصل بها الإنسان على الخشية في السر والعلانية؟

الأسباب كثيرة نوجزها فيما يلي:

أولاً: العلم الشرعي. العلم بالله، فكلما تعلم الإنسان كلما ازداد لله خشية، وإذا تعلمت يا ابن آدم العلم الشرعي، وزادك الله خشية فهنيئاً لك،

---

(١) **صحيح**: خ: (٢١٥٢)، انظر القصة كاملة.

(٢) **صحيح**: ت: (١٦٣٣)، ن: (٣١٠٨)، حم: (٢/٥٠٥)، ك: (٤/٢٨٨)، لس: (٢٤٤٣)، ش: (٧/١٢٧)، هب: (١/٤٩٠)، [«ص.ج» (٧٧٧٨)].

وإذا تعلمت يا ابن آدم وزادك العلم تكبراً على الناس فقد ابتعدت عن الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

فعلى الإنسان أن يتعلم، وأن يَعلم عن الله ﷻ ما جاء في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات.

• فإذا علم العبد أن الله ﷻ منتقم، جبار، متكبر، دفعه هذا العلم إلى أن يكون دائماً على حذر من الجبار ومن المنتقم.

• وإذا علم الإنسان أن الله سميع يسمعه: فإنه سيستحي من الله ﷻ فلا يغتاب المسلمين، ويستحيي من الله فلا يكذب، ويستحيي من الله فلا يشهد شهادة زور.

• وإذا علم الإنسان أن الله بصير يراه أينما كان فإنه يستحيي أن يقترف المعاصي. ولذلك نقول للعصاة: إذا كنتم تعتقدون أن الله لا يراكم فقد كفرتم بالله، وإذا كنتم تعتقدون أن الله يراكم فلم جعلتم الله أهون الناظرين إليكم؟! فهل تعتقد يا عبد الله أن الله يراك ومطلع عليك ثم تزني! أو تأكل الربا! أو تقع في أعراض الناس! قال ـ تعالى ـ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء: ١٠٨].

ثانياً: أن تتذكر دائماً ولا تنسى أنك تحت رقابة شديدة، أنت مراقب يا عبد الله رقابة شديدة، فإذا علم الإنسان ذلك خاف من الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

فاستحِ من الله وأنت تغش، استحِ من الله وأنت تكذب، استحِ من الله وأنت تخرج بزوجتك متبرجة، استحِ من الله وأنت تأكل الربا، استحِ من الله وأنت ذاهب إلى المحكمة لتشهد شهادة زور.

● إنَّ عليك رقابة من الله، رقابة من الملائكة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨].

● رقابة من الأرض التي تدب عليها يا ابن آدم، فهذه الأرض تشهد عليك يوم القيامة إما بالخير وإما بالشر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ١ ـ ٨].

فمن مشى على الأرض إلى المسجد، وإلى دروس العلم، وللإصلاح بين الناس، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شهدت له الأرض يوم القيامة بذلك.

ومن مشى على الأرض للإفساد بين الناس، وللزنا، ولشرب الخمر، ولأكل الربا شهدت عليه الأرض يوم القيامة بذلك.

● رقابة من أعضائك يا عبد الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤]، فاتقوا الله عباد الله.

من علم أنه تحت هذه الرقابة كان دائماً على وجل، كان دائماً على خوف من الله ﷻ، ما من كبيرة ولا صغيرة ولا حركة ولا سكنة إلا وتسجل عليك يا عبد الله، وعلمك بهذا يجب أن يورثك الخشية من الله ﷻ.

ثالثاً: أن تتذكر الموت وما بعد الموت من الأهوال العظام.

تذكر الوقوف بين يدي الله، تذكر الناس يوم القيامة وقد تطايرت الصحف، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله، ثم اسأل نفسك ـ وأنت تضحك ـ يا عبد الله من أي الفريقين أنت؟ تذكر الميزان إذا ثقلت

موازين، وخفت موازين، تذكر ـ وأنت تضحك وجالس أمام المفسديون ـ مع أي الفريقين أنت؟ تذكر يوم القيامة، فريق في الجنة وفريق في السعير واسأل نفسك مع أي الفريقين أنت يا عبد الله؟!

واللهِ لو علمَ الأنامُ لم خلقوا	لمَ هَجَعُوا ونامُوا
لقدْ خُلِقوا لأمرٍ لو رأتْهُ	عيونُ قلوبِهِمْ تاهوا وهاموا
مماتٌ ثم قبرٌ ثم حشرٌ	وتوبيخٌ وأهوالٌ عظامُ
ليوم الحشرِ قد عملتْ رجالٌ	فصلوا من مخافتِهِ وصاموا
ونحنُ إذا أمرنا أو نهينا	كأهلِ الكهفِ أيْقَاظَ نيامُ

رابعاً: إذا أراد الإنسان أن يخشى الله فعليه أن يتذكر ما أعده الله للعصاة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ [الليل: ١٤، ١٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧].

فتعلموا يا عباد الله، وحافظوا على دروس العلم، واجتهدوا في قراءة القرآن وفي تدبر القرآن فهذا يورث الخشية، والخشية نجاة لنا في الدنيا والآخرة.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يرزقنا وإياكم خشيته في السر والعلانية

❁ ❁ ❁



الوصية الرابعة والعشرون (د):
«... وثلاث كفارات...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن الوصية الرابعة والعشرين من وصايا المصطفى ﷺ والتي يقول فيها:

«ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات»، ثم يقول ﷺ: **«فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات: العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية»** ـ وقد تكلمنا عن ذلك في الجمع الماضية ـ **«وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام»**(١).

ونتكلم في هذا اليوم ـ يا عباد الله ـ فقط عن **إسباغ الوضوء في السبرات**.

وفي الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية نتكلم عن انتظار الصلاة بعد الصلاة، ونقل الأقدام إلى الجماعات.

أمة الإسلام! إسباغ الوضوء في السبرات: أي في شدة البرد، من كفارات الذنوب.

إسباغ الوضوء في شدة البرد سبب لمحو الخطايا والذنوب. وكلنا يا

---

(١) **حسن**: [«ص.ج» (٣٠٤٥)] وقد تقدم تخريجه.

عباد الله في أَمَسِّ الحاجة إلى هذه الوصية؛ لأننا جميعاً بلا استثناء نذنب بالليل والنهار، والعصمة فقط للأنبياء، عصمة من الله ﷻ، أما مَنْ دون الأنبياء فيذنب. فأنت يا عبد الله في أمس الحاجة إلى الأخذ بهذه الوصية، وإلى أن تعض عليها بالنواجذ؛ لأنها تبيّن لك الأعمال الصالحة التي تكفِّر؛ أي: تمحو عنك الذنوب والخطايا.

عباد الله! الذنوب والمعاصي شؤم على صاحبها في الدنيا والآخرة.

• أما شؤم الذنوب والمعاصي على صاحبها في الدنيا فهي سبب للهلاك، فما من عاصٍ هلك إلا بذنب، وما من أمة هلكت إلا بذنب. فالله ـ ﷻ ـ قال: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنعام: ٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

• المعاصي شؤم على صاحبها في الدنيا؛ لأنها تحرمه بركات السموات والأرض. كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

• ومن شؤم المعاصي على صاحبها في الدنيا، أنها تجعله يعيش معيشة ضنكاً. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ ـ أي: أقبل على المعاصي والذنوب ـ ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

• والذنوب والمعاصي تحرم صاحبها الرزق وهي سبب لنزول العذاب على الأمم.

أما شؤم المعاصي في الآخرة:

• فإنها تسود الوجوه يوم القيامة. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦].

● ومن شؤم المعاصي يوم القيامة: أنها حمل ثقيل، كل يحمل أثقاله على ظهره، الحر شديد، الزحام شديد، والعرق كثير، والكرب عظيم، ومع ذلك وأنت في هذا الموقف تحمل أوزارك على ظهرك يا عبد الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨].

فالمعاصي والذنوب حمل ثقيل يوم القيامة فخفف عن نفسك يا عبد الله.

● ومن شؤم المعاصي يوم القيامة أنها تجعلك من المفلسين يقول ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟... إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار**»(١).

● ومن شؤم المعاصي يوم القيامة: أنها تجعل صاحبها يندم في وقت لا ينفع فيه الندم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨١).

• ومن شؤم المعاصي يوم القيامة أنها سبب لدخول صاحبها في النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٧].

عباد الله! هذه مقدمة ليتبيّن لك يا أخا الإسلام أن المعاصي والذنوب شؤم في الدنيا والآخرة.

عباد الله! ومن الأعمال الصالحة التي تكفر هذه الذنوب وهذه المعاصي بعد التوبة: «**إسباغ الوضوء في السبرات**»؛ أي: في شدة البرد كما سمعتم من وصية رسول الله ﷺ.

وقال ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفعُ به الدرجات؟ إسباغُ الوضوء على المكاره، وكثرةُ الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»(١).

وقال ﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره**»(٢).

وقال ﷺ: «**إسباغُ الوضوء في المكاره، وإعمالُ الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، يغسل الخطايا غسلاً**»(٣)، الذهاب إلى المساجد للصلاة فيها، وانتظار الصلاة.

فإسباغ الوضوء شأنه عظيم، وتعلمك كيف تتوضأ أمر عظيم، أما بالنسبة لفضل الوضوء عامة ففضله عظيم.

---

(١) **صحيح**: ت: (٥٢)، ن: (١٤٣)، حم: (٢/ ٣٠٣)، حب: (١٠٣٨)، هب: (٣/ ١٥)، [«ص.ج» (٢٦١٨)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٤٥).

(٣) **صحيح**: ك: (١/ ٢٢٣)، ع: (١/ ٣٧٩)، هب: (٣/ ١٥)، بز: (٢/ ١٦١)، [«ص.ج» (٩٢٦)].

أولاً: الوضوء سبب لمغفرة الذنوب، كما قال ﷺ: «**من توضأ كما أُمر، وصلى كما أُمر، غفرله ما قدم من عمل**»[(١)] أي: لا يجوز لك أن تتوضأ كما توضأ أبوك، ولا أن تتوضأ كما توضأ شيخك، ولا أن تتوضأ كما تعلمت في المجالس، ولا أن تتوضأ مثل الناس، لا، يجب عليك أن تتوضأ كما توضأ رسول الله وهذا يدعوك إلى العلم، وإلى طلب العلم، أما إن كنت طوال اليوم تعمل للدنيا، وبالليل تعكف على شاشات المفسديون فمتى تتعلم الوضوء؟

الكثير من المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ لا يحسن الوضوء، وضوءُه باطل ومن توضأ وضوءاً باطلاً فصلاته باطلة. لأن الرسول ﷺ يقول: «**لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لا يذكر اسم الله عليه**»[(٢)]. وانظروا حتى إلى صلاة كثير من الناس ترونه يصلي صلاة عجيبة (لم)؟ لأنه لم يتعلم.

ثانياً: ومن فضائل الوضوء أنه سبب لدخول الجنة يقول ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسولُهُ إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**»[(٣)]، وزاد الترمذي: «**اللّهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين**»[(٤)].

ثالثاً: ومن فضائل الوضوء أنك تُعْرف به يوم القيامة، فيعرفك

---

(١) **حسن**: ن: (١٤٤)، هـ: (١٣٩٦)، حم: (٥/٤٢٣)، مي: (٧١٧)، حب: (١٠٤٢)، طب: (٤/١٥٦)، [«ص.ج» (٦١٧٢)].

(٢) **صحيح**: د: (١٠١)، هـ: (٣٩٩)، حم: (٢/٤١٨)، ك: (١/٢٤٥)، قط: (١/٧٩)، طس: (٨/٩٦)، [«ص.ج» (٧٥١٤)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٣٤).

(٤) **صحيح**: ت: (٥٥)، طس: (٥/١٤٠)، عب: (١/١٨٦)، ش: (١/١٣)، [«ص.ج» (٦١٦٧)].

الرسول ﷺ بآثار الوضوء يقول ﷺ: «**إن أمتي يُدعون يوم القيامة غُرّاً محجَّلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غُرَّته فليفعل**»(١).

عباد الله! ولما كان للوضوء هذه الأهمية أردت أن أذكر نفسي وإياكم بشروط الوضوء، وبكيفية الوضوء، وبنواقض الوضوء لأن كثيراً من الناس لا يحضر درساً للعلم، ولا يشتري كتاباً يتعلم منه، فحرصاً مني عليكم وحباً لكم أردت أن أذكركم في هذا المكان بشروط الوضوء التي لا يصح الوضوء إلا بها وبكيفية الوضوء؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدِّث فيهما نفسه، غُفِر له ما تقدم من ذنبه**»(٢).

أما بالنسبة لشروط الوضوء:

الشرط الأول: النية. لقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**...»(٣) والنية محلها القلب، ولا يجوز للسان أن يتدخل في النية، فالذي يقول بلسانه: نويت الوضوء، والذي يقول بلسانه: نويت رفع الحدث، والذي يقول بلسانه: نويت فرائض الوضوء، فهذا قد ابتدع في دين الله؛ لأن النية محلها القلب ولا يجوز للسان أبداً أن يتلفظ بها، وهذا رسولنا ﷺ توضأ وعلمنا كيف نتوضأ فما وجدنا حديثاً صحيحاً ولا ضعيفاً يبيّن أن الرسول ﷺ كان يقول: نويت أن أتوضأ.

الشرط الثاني: التسمية: أن نقول في بداية الوضوء: بسم الله، يقول ﷺ: «**لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**»(٤)، أن تقول: بسم الله، وتتوضأ. فمن نسي فليسم في وَسَطِه، وليسم إذا ذكر، ومن نسي التسمية ناسياً أو جاهلاً فلا شيء عليه، أما من ترك التسمية عمداً فوضوءه باطل وعليه أن يعيد الوضوء مرة ثانية.

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٦)، م: (٢٤٦). (٢) **صحيح**: خ: (١٦٢)، م: (٢٢٦).
(٣) **صحيح**: خ: (١).
(٤) **صحيح**: [«ص.ج» (٧٥١٤)] وقد تقدم تخريجه.

الشرط الثالث: الموالاة: أن تكون أعمال الوضوء متتالية متتابعة لا يفصل بينها وقت كثير (لِمَ)؟ «**رأى رسول الله ﷺ رجلاً يصلي وفي ظهر قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره النبي ﷺ أن يعيد الوضوء والصلاة**»(١)، فلو كانت الموالاة ليست بشرط لأمره الرسول ﷺ أن يغسل هذا القدر القليل بالماء ثم يصلي، ولكن عندما كان هناك وقت بين رؤية الرسول ﷺ لهذه اللمعة في قدم الرجل وبين وضوئه أمره أن يعيد الوضوء، وأن يعيد الصلاة.

أما بالنسبة لكيفية الوضوء:

إذا أراد المسلم أن يتوضأ فعليه:

١ ـ أن يستحضر النية في قلبه، ولا يتلفظ بها، ثم يستاك بالسواك إذا كان معه ثم يقول: «**بسم الله**».

٢ ـ ثم يغسل كفيه ثلاث مرات ويخلل بين أصابع يديه.

٣ ـ ثم يتمضمض ويستنشق بحفنة واحدة يفعل ذلك ثلاث مرات، ويستنثر باليد اليسرى.

٤ ـ ثم يغسل وجهه ثلاث مرات مع مراعاة تخليل اللحية.

٥ ـ ثم يغسل يديه ثلاث مرات اليمنى ثم اليسرى من أطراف الأصابع إلى المرفقين.

٦ ـ ثم يمسح رأسه بيديه كاملةً يدبر ثم يقبل مرة واحدة ثم يمسح أذنيه بالسبابتين من الداخل والإبهام من الخارج.

٧ ـ ثم يغسل رجليه إلى الكعبين اليمنى ثم اليسرى ثلاث مرات ويخلل بين الأصابع.

ثم يقول: «**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن**

---

(١) **صحيح**: د: (١٧٥)، حم: (٣/ ٤٢٤)، هق: (١/ ٨٣)، [«ص.د» (١٦١)].

محمداً عبده ورسوله، اللّهم اجعلني من التوابين واجعلني من **المتطهرين**»(١). ولا يقول شيئاً أثناء الوضوء إلا في أوله: «**بسم الله**»(٢)، وفي آخره: «**أشهد أن لا إله إلا الله...**»، أما ما نسمعه من الأذكار التي يقولها العوام على وضوئهم ما أنزل الله بها من سلطان، فمن قالها وادعى أنه لا شيء فيها فقد استدرك على رسول الله، وقد ظن أن الرسول ﷺ قد انتقل إلى ربه ولم يدلنا على هذا الخير.

قال ﷺ: «**وخير الهدي هدي محمد** ﷺ»(٣)، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧]، وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٤).

أما بالنسبة لنواقض الوضوء:

الناقض الأول: ما خرج من السبيلين القبل والدبر: من ريح أو غائط أو بول أو مذي أو ودي، هذه الخمس إذا خرجت من القبل أو الدبر انتقض الوضوء، أما غيرها فلا ينقض الوضوء، ولا نص في ذلك.

الناقض الثاني: النوم العميق: أن ينام الإنسان ولا يدري بمن حوله فهذا قد انتقض وضوؤه وإن كان ممكناً مقعدته من الأرض، فإن نام الإنسان ولم يدر بمن حوله فعليه إعادة الوضوء لقوله ﷺ: «**العين وكاء السه فمن نام فليتوضأ**»(٥). أما الذي ينعس ويدري بمن حوله فوضوءه صحيح ولا شيء عليه.

الناقض الثالث: زوال العقل بسكر أو مرض.

الناقض الرابع: مس الفرج بشهوة بدون حائل، لقوله ﷺ: «**من مس**

---

(١) **صحيح**: ت: (٥٥)، [«ص.ج» (٦١٦٧)] وقد تقدم تخريجه.

(٢) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٢٦٣. (٣) **صحيح**: م: (٨٦٧).

(٤) **صحيح**: خ: (٢٥٥٠)، م: (١٧١٨).

(٥) **صحيح**: هـ: (٤٧٧)، حم: (١/١١١)، قط: (١/١٦١)، هق: (١/١١٨)، [«ص.ج» (٤١٤٩)].

ذكره فليتوضأ»[(١)]، أما حديث: «**إنما هو بضعة منك»**[(٢)]، فحكمه يكون إذا لم يقترن بالمس شهوة فيعتبر الذكر عضواً كسائر الأعضاء، أما إذا اقترن بالمس شهوة فيكون حكم الذكر عند ذلك غير حكم الأعضاء فينتقض الوضوء.

الناقض الخامس: أكل لحم الإبل، يقول ﷺ: «**توضئوا من لحوم الإبل، ولا تتوضئوا من لحوم الغنم»**[(٣)]، من أكل لحم الجزور أي: لحم الإبل فعليه أن يتوضأ، ومن أكل غير ذلك فلا شيء عليه.

فيا إخوة الإسلام: الوضوء شأنه عظيم، وأمره خطير، فتعلموا كيف تتوضئوا؛ لأنكم إذا توضأتم وضوءاً غير صحيح، فالصلاة غير مقبولة، ويجب على العاقل بدل أن يذهب إلى أماكن اللهو واللعب، وبدل أن يشتري مفسديون في بيته لا يتعلم منه شيئاً ينفعه عليه أن يشتري كتاباً أو شريطاً أو أن يحضر درساً في المسجد يتعلم منه كيف يتوضأ، ثم يعلم زوجته، وأمه، وأخته، وأولاده. والرسول ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»**[(٤)].

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يفقهنا وإياكم في ديننا

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: د: (١٨١)، ت: (٨٢)، ن: (٤٤٧)، حم: (٦/ ٤٠٦)، حب: (١١١٦)، ك: (١/ ٢٣١)، لس: (١٦٥٧)، طب: (٢٤/ ١٩٤)، [«ص.ج» (٦٥٥٤)].

(٢) **صحيح**: د: (١٨٢)، ن: (١٦٥)، حم: (٤/ ٢٢)، حب: (١١٢٠)، قط: (١/ ١٤٩)، [«ص.د» (١٦٧)].

(٣) **صحيح**: د: (١٨٤)، ت: (٨١)، هـ: (٤٩٥)، حم: (٤/ ٣٥٢)، حب: (١١٢٥)، طب: (٧/ ١٦٤)، طس: (٧/ ٢٤٧)، [«ص.ج» (٣٠٠٦)].

(٤) **صحيح**: خ: (٧١)، م: (١٠٣٧).



الوصية الرابعة والعشرون (هـ):
«.. وثلاث كفارات..»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن الوصية الرابعة والعشرين من وصايا المصطفى ﷺ والتي يقول فيها: «**وثلاث كفارات**»، ثم يقول ﷺ: «**فأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات**»[(١)].

وقد تكلمنا في الجمعة الماضية عن إسباغ الوضوء في السبرات وتبيّن لنا أن إسباغ الوضوء في شدة البرد من مكفرات الذنوب.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن **انتظار الصلاة بعد الصلاة ونقل الأقدام إلى الجماعات**.

عباد الله! وانتظار الصلاة بعد الصلاة من مكفرات الذنوب، انتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الذنوب والخطايا غسلاً، فإذا جاء الرجل إلى المسجد، وصلى ـ مثلاً ـ تحية المسجد ثم جلس في المسجد ينتظر الصلاة فهو في صلاة. وهذا الجلوس في المسجد يكفر عنه الذنوب والخطايا ويغسلها كما قال ﷺ في الوصية التي معنا: «**فأما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة..**»، وقال ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»[(٢)].

---

(١) **حسن**: [«ص.ج» (٣٠٤٥)] وقد تقدم تخريجه.

(٢) **صحيح**: [«ص.ج» (٢٦١٨)] وقد تقدم تخريجه.

وقال ﷺ: «**إسباغ الوضوء في المكاره، وإعمال الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، يغسلُ الخطايا غسلاً**»[(١)].

عباد الله! الإنسان منا إذا جلس في المسجد ينتظر الصلاة فهو في صلاة ما دامت الصلاة هي التي تحبسه، والملائكة يدعون له يقولون: اللّهم اغفر له، اللّهم ارحمه.

عباد الله! انتظار الصلاة بعد الصلاة عمل عظيم، الله ﷻ يباهي بصاحبه ـ أي: الذي يفعل ذلك ـ الملائكة في السماء.

عَن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب، فرجع مَنْ رجع، وعَقَّبَ من عَقَّب، فجاء رسول الله ﷺ مُسْرعاً قد حفزه النفس، قد حَسر عن ركبتيه، قال: «**أبشروا، هذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء، يباهي بكم الملائكة، يقول: انظروا إلى عبادي، قد قضوا فريضةً، وهم ينتظرون أُخرى**»[(٢)].

فهذا عمل جليل يباهي ربنا بأصحابه الملائكة، نقول ذلك يا عباد الله في وقت فيه الكثيرُ من المسلمين اليوم إذا جاءوا إلى المسجد ودخلوا في داخل المسجد فكأنهم يجلسون على جمر من نار يتمنون اللحظة التي تنتهي فيها الصلاة، ويترقبون الوقت الذي يخرجون فيه من المسجد إلى اللهو واللعب، والواحد منهم إذا جلس أمام شاشات المفسديون، أو جلس لمتابعة مباريات كرة القدم لا يكل ولا يمل، ولكنه إذا جاء إلى المسجد، وانتظر دقائق معدودة حتى تقام الصلاة فتراه يرفع صوته (ويهاوش) في داخل المسجد وكأنه في سجن، وكأنه يجلس على جمر.

عباد الله! الجلوس في المسجد لانتظار الصلاة صلاة، والله ﷻ يباهي بهذا الجالس في المسجد الملائكة، فإذا جاء أحدنا إلى المسجد، وصلى تحية المسجد، وجلس ينتظر الصلاة فهو في صلاة ما دامت الصلاة

---

(١) **صحيح**: [«ص.ج» (٩٢٦)] وقد تقدم تخريجه.

(٢) **صحيح**: هـ: (٨٠١)، حم: (١٨٦/٢)، بز: (٣٥٧/٦)، [«ص.غ.هـ» (٤٤٥)].

هي التي تحبسه والملائكة يدعون له، والله يباهي به الملائكة، فمن جاء مثلاً لصلاة المغرب فصلاها، ثم جلس في المسجد ينتظر صلاة العشاء، فهذا له أجر عظيم، وهذا الانتظار ـ إنتظارُ الصلاة بعد الصلاة ـ يغسل صاحبه من الخطايا والذنوب غسلاً.

عباد الله! الصلاة في الإسلام لها شأن عظيم.

● فالصلاة هي عمود الدين، والصلاة هي أول ما فرض من العبادات في السموات العلى مباشرةً على رسولنا ﷺ دون واسطة لأهميتها.

● والصلاة هي آخر ما يفقد من هذا الدين، فإذا نظرنا إلى المسلمين وقد تركوا الصلاة، وضيعوها فقد تخلوا عن دينهم، فهي آخر ما يفقد من هذا الدين، فلم يبق لنا من ديننا إلا الصلاة، فإذا ضيعناها فقد ضيعنا الدين، والله سائلنا يوم القيامة عن هذا الدين.

● والصلاة لأهميتها هي أول ما يُسْأَل عنه العبد يوم القيامة أمام الله، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

● ولأهمية الصلاة وصى الرسول ﷺ بها وهو في أنفاسه الأخيرة، وهو في مرض الموت، فقال ﷺ: «**الصلاةَ الصلاة، وما ملكت أيمانكم**»(١).

أمة الإسلام! من حافظ على الصلاة وأداها في وقتها في جماعة في المسجد دخل الجنة:

قال ـ تعالى ـ في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٩ ـ ١١].

(١) **صحيح**: هـ: (١٦٢٥)، حم: (٦/ ٢٩٠)، ك: (٣/ ٥٩)، [«ص.هـ» (١٣١٧)].

• من ضيع الصلاة، وتركها، وانشغل بجمع الدنيا الفانية فسيدخل النار ـ والعياذ بالله ـ، قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ (٣٩) فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ (٤٠) عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ (٤٢) قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ (٤٣)﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾ [مريم: ٥٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)﴾ [الماعون: ٤، ٥].

عباد الله! وإننا إذا نظرنا إلى كثير من المسلمين في هذا الزمان العجيب نراهم قد ضيعوا الصلاة وتركوها، فمنهم من أنكرها، ومنهم من جحدها، ومنهم من تركها تكاسلاً وانشغالاً بجمع الدنيا الفانية، ومنهم من ضيع صلاة الجماعة، ومنهم من لا يعرف المسجد إلا في يوم الجمعة، فإلى هؤلاء نُوَجِّه لهم هذه الرسالة القصيرة، ناصحين مذكرين، والذكرى تنفع المؤمنين.

يا عباد الله! حافظوا على الصلاة، فإنها تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

يا عباد الله! حافظوا على الصلاة، فإنها تطهر صاحبها من الأخلاق الدنيئة ومن الصفات القبيحة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ (٢٣)﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٣].

يا عباد الله! حافظوا على الصلاة؛ فإنها تطهر صاحبها من الذنوب والخطايا، قال ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء،**

قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»[1].

يا عباد الله! حافظوا على الصلاة واستعينوا بها على أمور الدين والدنيا، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣].

يا عباد الله! حافظوا على الصلاة فإنها سبب للحصول على الرزق. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

يا عباد الله! حافظوا على الصلاة؛ فهي سبب للتمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١].

يا عباد الله! حافظوا على الصلاة؛ فإنها تصنع الرجال الذين يقودون الأمة إلى ما يحب ربنا ويرضى، قال ـ تعالى ـ: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

عباد الله! ومن مكفرات الذنوب أيضا كما قال ﷺ في وصيته: «**ونقل الأقدام إلى الجماعات**»؛ أي: المشي بالأقدام على الأرض للمحافظة على صلاة الجماعة.

فالذي يذهب إلى المسجد، ويؤدي صلاة الفريضة في المسجد، فهذا له أجر عظيم، وهذا عمل يغسل الذنوب عنه غسلاً، والمشي إلى المساجد، إلى بيوت الله، فيه أجر عظيم، نقول ذلك لكم، ونذكركم بالأجر العظيم في الذهاب إلى المساجد لأداء الفريضة، في الوقت الذي يحافظ فيه العصاة على الذهاب إلى دور السينما، وإلى أماكن الخمور، وإلى أماكن اللهو واللعب!!.

فحافظوا أنتم على الذهاب إلى بيوت الله، لترتفعوا درجات عند الله،

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٠٥)، م: (٦٦٧).

ولتغسلوا عن أنفسكم الذنوب والخطايا، يقول ﷺ: «**من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نزلاً، كلما غدا أو راح**»(١).

ويقول ﷺ: «**من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة**»(٢).

ويقول ﷺ: «**بشر المشائين في الظُّلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»(٣)، بشر المشائين في الظلم إلى المساجد في صلاة العشاء، وفي صلاة الفجر بالنور التام، فكم يا عباد الله ممن يجلسون أمامي الآن قد ضيعوا صلاة الفجر؟! أنا لا أعاتب الذين في خارج المسجد ولا يصلون، بل الذين يجلسون الآن أمامي كم منكم من يتخلف عن صلاة الفجر؟ أظن الجواب يعرفه كل منا، أما تعرف يا عبد الله أن التخلف عن صلاة الفجر والعشاء من شيم المنافقين؟! أما تعرف يا عبد الله أن التخلف عن صلاة الفجر والعشاء يحرمك أجراً عظيماً؟!

عباد الله! صلاة الجماعة في المسجد حكمها: أنها واجبة، والمتخلف عن صلاة الجماعة بدون عذر شرعي آثمٌ عاصٍ لله ولرسوله، ومرتكب لكبيرة من الكبائر.

والدليل على أن صلاة الجماعة في المسجد واجبة:

أولاً: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ـ وإقامة الصلاة فرض ـ ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ـ وإيتاء الزكاة فرض ـ ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] ـ أي: صلوا في المسجد، وهذا دليل على وجوب صلاة الجماعة.

فقد رسولُ الله ﷺ ناساً في بعض الصلوات فقال: «**لقد هممتُ أَنْ آمرَ رجلاً يصلي بالناس، ثم أُخالفَ إلىٰ رجالٍ يتخلفون عنها فآمر بهم**

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٣١)، م: (٦٦٩). (٢) **صحيح**: م: (٦٦٦).

(٣) **صحيح**: د: (٥٦١)، ت: (٢٢٣)، هـ: (٧٨١)، خز: (١٤٩٩)، ك: (١/ ٣٣١)، لس: (٢٢١٢)، [«ص.د» (٥٢٥)].

فَيُحرِّقوا عليهم بحُزم الحطب بيوتهم، ولو علم أحدهم أنه يجد عظماً سميناً لشهدها. يعني صلاة العشاء»(١).

والله ﷻ أمر رسوله والمؤمنين في حالة الحرب بصلاة الجماعة. فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ الآية [النساء: ١٠٢].

فالله أمر رسوله والمؤمنين بصلاة الجماعة في حالة الحرب فوجوبها عليهم في حالة الأمن أولى.

● وجاء رجل أعمى يقول: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال له ﷺ: «**هل تسمع النداء؟**» قال: نعم، قال ﷺ: «**فأجب**»(٢).

ويقول ابن مسعود: (من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ـ أي في المساجد ـ فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن ـ أي: الصلوات الخمس ـ من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها ـ أي عن صلاة الجماعة ـ إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتىٰ يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف)(٣) أي: يؤتى بالرجل المريض يهادى أي: يتكأ على الرجلين حتى يقام في الصف.

فيا من يتخلفون عن صلاة الجماعة وهم بصحة وبنعمة وبأمن وأمان متى تصلون في الجماعة؟ يا عباد الله، أذكركم: اليوم حياة وغداً موت، اليوم صحة وغداً مرض، اليوم غنى وغداً فقر، فإن جاءك الموت فجأة

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٨)، م: (٦٥١). (٢) **صحيح**: م: (٦٥٣).
(٣) **صحيح**: م: (٦٥٤).